الفصل الثانى

المعنى فى المعجم اللغوى التاريخى

المبحث الأول: طبيعة المعنى المعجمى.

المبحث الثانى: طرق شرح المعنى المعجمى.

المبحث الثالث: التغير الدلالى فى المعجم اللغوى التاريخى.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى

المعنى فى المعجم اللغوى التاريخى

مدخل:

يعرض هذا الفصل للجزء الثانى من بناء المعجم اللغوى التاريخى، المتصل بالمعنى والدلالة- بعد أن عرض الفصل الأول للجانب اللفظى الذى يشمل المواد (الجذور) وما يُشتق منها من مفردات ينتمى بعضها إلى الأفعال، وينتمى بعضها الآخر إلى الأسماء، مصادر، ومشتقات وأسماء جامدة. ويلحق بهذا كله مجموعة الكلمات الوظيفية من الحروف والأسماء المبنية والأفعال الجامدة غير المتصرفة- يأتى بعده الجزء الثانى، وهو يرتبط بجانب المعنى فى المعجم اللغوى التاريخى، وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول جاء بعنوان" طبيعة المعنى المعجمى"، ثم جاء المبحث الثانى بعنوان" طرق شرح المعنى المعجمى"، ويتناول المبحث الثالث" التغير الدلالى فى المعجم اللغوى التاريخى".

***

المبحث الأول

طبيعة المعنى المعجمى

أحاول فى هذا المبحث أن أسلط الضوء على مجموعة من المسائل والنقاط تسهم كلها فى توضيح طبيعة المعنى المعجمى، وتحدد مفهومه، وتبين جوانبه، وتكشف عن خصائصه وسماته، وكل ذلك يهدف إلى خدمة المعجم التاريخى، وإلى تيسير إنجازه وإخراجه للناس، ثم إلقاء نظرة عامة على منهج مجمع اللغة العربية فى ترتيب المعانى فى معاجمه، ثم يعرض المبحث للمعنى فى المعجم اللغوى التاريخى؛ وذلك من خلال استقراء آراء العلماء الذين تعرضوا لهذه القضية فى كتاباتهم، وهم قلة محدودة.

أولاً: المعنى المعجمى:

يتحدد المعنى المعجمى بوصفه جزءًا من المعنى اللغوى العام؛ لأن الوحدات المعجمية جزء من الوحدات اللغوية بصفة عامة، تلك الوحدات التى اتُّفق على تقسيمها إلى وحدات صوتية، ووحدات صرفية، ووحدات معجمية، ووحدات نحوية، يُضاف إليها كلها السياق، وسياق الحال، أو الموقف.

ومن المعلوم أن اللغة تُستعمل لأداء وظائف متعددة من توصيل الأفكار والتعبير عن المشاعر والأحاسيس، والتأثير فى عواطف المستقبلين، وأداء كثير من الأفعال، وتسجيل الفكر والحضارة،... إلى آخر هذه الوظائف التى لا يكاد يحيط بها حصر؛ ومن ثم حسمها وجمعها ابن جنى بقوله وهو يقدم تعريفًا للغة: "أما حدُّها (أى اللغة) فهى أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1]. هكذا وضح ابن

(١) الخصائص، ابن جنى، تحقيق: محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦، ١/ ١٣.

جنى طبيعة اللغة فى أنها أصوات منطوقة، وحدد وظائفها فى أنها التعبير عن الأغراض، أيًّا كانت هذه الأغراض.. توصيلًا، أو تعبيرًا، أو تأثيرًا، أو تسجيلًا، أو أداءً، أو أى شىء آخر، وبلغة ابن جنى (أى غرض آخر).

هذا هو المعنى اللغوى العام الذى يريده المتكلم من استعمال اللغة، وهو الذى اهتم به الدارسون الذين حاولوا الكشف عنه عند دراستهم اللغة؛ وحتى يتيسر لهم ذلك لجأوا إلى تشقيق هذا المعنى وتفريغه بحسب الوحدات التى تكشف عنه وتؤديه؛ لأنهم وجدوا أن جزءًا منه يُستفاد من الصوت، وجزءًا ثانيًا يُستفاد من الصيغة، وجزءًا ثالثًا يُستفاد من تركيب الجملة، وجزءًا رابعًا يُستفاد من المفردات أو الكلمات التى تدخل فى تأليف الجملة، وآخر جزء هو المعنى العام والنهائى المستفاد من كل ما سبق مضافًا إليه تدخل السياق وتأثيره فى فهم المعنى وتحديد المراد من الاستعمال اللغوى فى الموقف المعين.

نفهم مما سبق أن المعنى المعجمى جزء من المعنى اللغوى العام، فما طبيعته؟ وما مفهومه؟

يُستفاد المعنى المعجمى من المفردات أو الألفاظ أو الكلمات التى اصطُلح عليها باسم الوحدات المعجمية، وهذا المعنى له مجموعة من الخصائص والسمات، أولها أنه معنى إشارى، أى أنه يقع خارج اللغة، تشير إليه الكلمة خارج اللغة، فعندما نسمع كلمة (أسد) فى استعمالها العادى ينصرف الذهن مباشرة إلى الدلالة على الحيوان المعروف،... وهكذا فى بقية الكلمات حتى الكلمات التى تنتمى إلى المجال التجريدى أو المعقول كأسماء الأحداث، وأسماء المعانى، فهذا النوع من الكلمات له معنى إشارى " معقول" أو "مجرد"، يتصوره الذهن، ويربط بينه وبين اللفظ الدال عليه ربطًا عقليًّا محضًا.

هذا هو مفهوم المعنى المعجمى، ولعله المقصود بكلام النحاة عن دلالة الاسم، ودلالة الفعل عندما قالوا عن الاسم: إنه ما دل على إنسان أو حيوان أو جماد أو أى شىء آخر، وباختصار: ما دل على ذات أو على معنى . أما الفعل فهو ما دل على حدث مقترن بزمن.

وقالوا عن الحرف: إنه كلمة لا يظهر معناها كاملًا إلا مع غيرها، قاصدين بذلك المعنى الوظيفى المستفاد من الوحدات اللغوية داخل التركيب نفسه، وليس خارج اللغة، هذه هى الخصيصة الأولى للمعنى المعجمى، أنه **إشارى**، وقد يحلو لبعض الدارسين تسميته (**مرجعى**)، أو **خارجى**. أما الخصيصة الثانية فهى أن المعنى المعجمى **متعدد** ومحتمل، أى أن الكلمة، أو اللفظة عندما تكون وحدها معزولة عن السياق فإنها تحتمل الإشارة إلى دلالتين فأكثر، فإذا دخلت السياق تحدد لها معنى واحد، أو دلالة واحدة غالبًا، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها دلالات الفعل (ضَرَبَ) فى استعمالاته المتعددة، وسياقاته المختلفة؛ إذ منها: خَبَط، ودَقَّ، وأَدَّبَ، وذكر قولًا، ومَشَى فى الأرض، وتحيَّر، وأجرى عملية حسابية،...إلخ.

ومن خصائص المعنى المعجمى كذلك أنه متغير ومتطور بتغير الزمان والمكان والحالة الحضارية للمجتمع، وداخل هذه الخصيصة خصيصة فرعية تتمثل فى استمرار الدلالة القديمة للفظ مع الدلالة الحديثة أو الطارئة، وعدم اختفاء الدلالة القديمة فى الغالب، الأمر الذى (يُحَمِّل) اللفظ معانى كثيرة ينبغى على المعجم التاريخى أن ينص عليها ويسجلها، ويوضح التغير الحادث فى الدلالة . قد تكون بعض المعاجم اللغوية ـ ولاسيما الضخمة والكبيرة منها ـ قد أشارت إلى ما سبق كله، أو بعضه[1].

ثانيًا: نظرة عامة لمنهج مجمع اللغة العربية فى ترتيب المعانى:

إن المتأمل لمعاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة – خاصة المعجم الكبير – يجد أن المجمع وضع منهجًا ثابتًا فى ترتيب المعانى؛ فجاءت المعانى الكلية متدرجة من الأصلى إلى الفرعى، ومن الحسى إلى المعنوى، ومن الحقيقى إلى المجازى، ومن المألوف إلى الغريب. وأُغفلت فى الكلمات المقلوبة والمُبْدَلَة اكتفاءً بذكرها فى أصولها قبل القلب أو الإبدال، واستُؤنس فى استنباطها بما ورد فى المعجمات القديمة، وبخاصة فى " مقاييس اللغة" لابن فارس، واستُخلص بعضها من دلالات المادة

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٦، ٢٠٠٩، ص ٣٢٣، وما بعدها. (بتصرف)

نفسها.[1] وهذا هو المنهج الذى اتبعه الباحث فى النماذج التى أعدها عن المعجم التاريخى، فى حالة الترتيب فقط داخل العصر الواحد من عصور اللغة العربية، فالمعجم التاريخى يعنيه- فى المقام الأول- الترتيب التاريخى والتسلسل الزمنى للمعانى.

ومن أمثلة تقديم الدلالة الحسية على الدلالة المعنوية فى المعجم الوسيط ما جاء فى مادة (أ و ب): "آبَ إليه: رَجَعَ. وـ إلى الله: رَجَعَ عن ذنبه وتاب"، ومن ذلك أيضًا: " الأوْب: السرعة. وـ جماعة النحل. وـ القصد والاستقامة. وـ الطريقة والعادة."[2]

ومن أمثلة ذلك أيضًا فى المعجم الكبير ما جاء فى مادة (أ ج ج): "أجَّج النارَ: ألهبها فسُمع لهيبها. وـ الشَّرَّ بينهم: أوقده".[3]

ومن أمثلة تقديم الدلالة الحقيقية على الدلالة المجازية فى المعجم الوسيط ما جاء فى مادة (ح و ز): " الحَيِّز: كلُّ جمعٍ منضمٌّ بعضُه إلى بعض. وـ المكان. ويقال: هو فى حَيِّز فلان: كنفه"[4].

ومن أمثلة ذلك ما جاء فى المعجم الكبير فى مادة (أ ن س):" استأنس فلان: نظر، أو تبصَّر وتلفَّت هل يرى أحدًا. وـ: اطمأنَّ وزالت عنه الوحشة، وـ: استأذن."[5]

ثالثًا: استعراض آراء بعض العلماء الذين تناولوا المعنى فى المعجم اللغوى التاريخى:

١- الدكتور محمد حسن عبدالعزيز:

يرى الدكتور محمد حسن عبدالعزيز أن المعجم التاريخى بالمعنى الكامل للمصطلح ينبغى أن يبدأ بالمعنى الأقدم ثم بالذى يجىء بعده وهكذا حتى نصل إلى

---

(١) انظر: المعجم الكبير (حرف الهمزة)، المقدمة: ص ك.
(٢) المعجم الوسيط، مادة (أ و ب).
(٣) المعجم الكبير (حرف الهمزة)، مادة (أ ج ج).
(٤) المعجم الوسيط، مادة (ح و ز).
(٥) المعجم الكبير (حرف الهمزة)، مادة (أ ن س).

المعنى الأحدث. هذا إذا بدأ المعجم بالعصر الجاهلى. أما إذا بدأ بالعصر الحديث فسوف يبدأ بالمعنى الأحدث ثم ينزل إلى المعانى الأخرى حتى يصل إلى المعنى الأقدم.

وعلى أية حال ليس ما سبق بمانع من مراعاة الطرق السالفة فى المرحلتين الأقدم – العصر الجاهلى – أو الأحدث – العصر الحديث[1].

٢- الأستاذ أحمد شفيق الخطيب:

يرى الأستاذ أحمد شفيق الخطيب أن "أى معجم يكون همه، ربما الأول، تفهم المعنى، والمعاجم تختلف فى معالجة هذه الناحية- زمانيًّا من حيث البدء بالمعنى الحديث ثم الأسبق فالأسبق- أو براغماتيًّا عمليًّا من حيث البدء بالمعنى الأكثر شيوعًا، مؤرخًا بقدمه ومجالات استعماله، وهذا يقتضى دراسات إحصائية... وقد يكون توزيع المعانى منطقيًّا بذكر المعنى الحقيقى المرتبط (بجذر أصل الكلمة أو أصلًا) قبل المجازى، والحسى قبل المعنوى، والمألوف قبل الغريب، والأصلى قبل الفرعى".[2]

ويؤكد الأستاذ الخطيب أن هناك مبررًا فى المعجم التاريخى للبدء بالمعنى الأقدم تسلسلًا إلى المعنى الأحدث، وبالنسبة لطبيعة اللغة العربية المحدودة فإن التغير الدلالى سيكون غالبًا فى الوضع الحاصل، لا سيما أن الألفاظ الجديدة هى لمفاهيم ومسميات جديدة.[3]

١- الدكتور صادق عبدالله أبو سليمان:

عرض الدكتور صادق عبدالله أبو سليمان لقضية المعنى فى المعجم التاريخى بشكل عابر عندما تعرض لتعريف المعجم التاريخى؛ حيث أكد على ضرورة أن "يبين المعجم التاريخى ما طرأ على المفردة من تغيرات فى المعنى أو المبنى فى أساليب

(١) المعجم التاريخى للغة العربية: وثائق ونماذج، ص١٨٤، ١٨٥.
(٢) المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع ١٠٩/ ١١٢.
(٣) السابق نفسه.

الكلام المتنوعة، مع العناية ببيان تاريخ التغير وبيئته، وما إذا كان للمعنى أو المبنى من خصائص بيئية أو سياقات معينة ذاع فيها، وهو فى كل ذلك يُعنى بالترتيب التاريخى، يعرض للأقدم أولًا ويذكر معه تاريخ ظهوره ومكانه، وإن طرأ عليه تغيير يلتزم مسألة الترتيب فى عرضه، وذكر سنة حدوثه ومكانه، ووضَّح ذلك كله بشاهد يقتبسه من نصوص اللغة". (١)

ويتابع الدكتور أبو سليمان فكرته مؤكدًا عليها فيقول:" وهذا يعنى أنه ينبغى للمعجم التاريخى أن يبين زمن ذيوع كل ما يرد فيه من مفردات وتراكيب وأساليب وأمثال وغيرها، وكذلك زمن قلة استعمالها أو هجرها أو إعادة إحيائها سواء بالمعنى نفسه أو بتغيير فيه أو فى مبناه". (٢)

وفى بحث آخر للدكتور صادق أبو سليمان عرَّف المعنى فى المعجم التاريخى بشكل مباشر ومختصر، فقال تحت عنوان فرعى:" المعنى: ويوضح ما إذا كان للفظ أكثر من معنى، أو أن له معنى أو أكثر منها ما يُذكر فى مقامات معينة". (٣)

٢- الدكتور على القاسمى:

عرض الدكتور على القاسمى لقضية المعنى فى المعجم التاريخى بشكل عابر- أيضًا- عندما تعرض لتعريف المعجم التاريخى؛ حيث عرفه بأنه" نوع من المعاجم يرمى إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم ظهور لها حتى يومنا هذا. وذلك يعنى أمرين: الأول: أن يضم المعجم التاريخى كل لفظ استُعمل فى اللغة، سواء يُستعمل فى الوقت الحاضر أم لا. الثانى: أن يوثق المعجم تاريخ كل لفظ فى " شكله ومعناه واستعماله" ممثلًا لهذا اللفظ بعدد من الشواهد، ابتداء من أول ظهور معروف لذلك اللفظ حتى آخر استعمال له.

---

(١) المعجم التاريخى للعربية، مجلة المجمع، ١٠٩/ ١٢٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) نحو مشاركة جماهيرية فى جمع متن المعجم التاريخى للغة العربية، د. صادق عبدالله أبو سليمان، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد١١٠، ص ١٦٠.

ويرى الدكتور القاسمى أن "المعجم التاريخى لا بد أن يوثق كل لفظ فى " شكله ومعناه واستعماله". والمقصود بالشكل هو الشكل الإملائى للفظ (مثل: "الرحمن" فى المشرق العربى، و" الرحمان" فى المغرب العربى). أما المعنى فيُشرح بالتعريف الذى يورده المعجم. أما كلمة " استعماله" فتعنى "المعلومات الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية التى تتعلق باللفظ ".[١]

٣- الدكتور عباس الصورى:

يرى الدكتور عباس الصورى أن المعجم اللغوى أساسًا يقوم على المادة اللغوية، فى مبناها ومعناها، ولحصر هذه المادة يعمد المعجمى إلى مجموعة من الإجراءات الصوتية والصرفية التى بواسطتها يهتدى إلى اللفظ المراد معالجته، وهنا يأتى دور الدلالة لإجلاء المعانى التى تشكل المبانى التى أُفرغت فيها المادة اللغوية[٢].

ويقترب سيادته من المعجم التاريخى فيقرر أن الأمر إذا كان يتعلق بوضع معجم تاريخى للغة، فإن المعجمية تدخل فى منهجيتها عنصر الزمن الذى بواسطته يفسر ما يطرأ على المادة اللغوية من ألوان التغيير، فالتحليل ينصبُّ إذًا على المادة اللغوية من خلال محورين:

- محور التزامن ويتخذ له منهجًا وصفيًّا استقصائيًّا ما أمكن.
- محور تحقيقى، ويعتمد المنهج التاريخى الذى يغوص فى التجربة الإنسانية التى تحملها اللغة المعنية عبر العصور والأزمان، وما لقيته هذه المادة اللغوية من تحولات فى المبنى والمعنى.[٣]

ويؤكد الدكتور الصورى فكرته بشكل أوضح قائلًا:" المفروض فى المعجم التاريخى إذًا أن يتقصى معانى اللفظ فى مختلف العصور والبيئات، ولدى كل

---

(١) انظر: الشواهد فى المعجم التاريخى، مجلة المجمع ١١٠/ ٦٥، ٦٦.(بتصرف).

(٢) انظر: اللغة المصطلحية فى المعجم العربى التاريخى، د. عباس الصورى، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد العاشر بعد المئة، مايو٢٠٠٧م، ص ١١٥.

(٣) انظر: السابق نفسه.

الطبقات الاجتماعية، سواء كان اللفظ عربيًّا أصيلًا أو كان معربًا أو دخيلًا أو مُولدًا، تُذكر معانيه كلها، دون إهمال معنى منها مع مقارنة هذه المعانى فى لغتها الأصلية فى المعرب والدخيل بمعانيها فى العربية". [1]

٤- الدكتور عبد الكريم خليفة:

يقرر الدكتور عبد الكريم خليفة فى بحثه "المعنى فى المعجم التاريخى للغة العربية" أن قضية المعنى من القضايا المهمة التى تخص بناء المعجم التاريخى، فى مفهومه وتغيره، وطرق شرحه، وما يتميز به من خلال خصائص اللغة العربية، اللغوية وفى جميع مجالات الآداب والعلوم والفنون.

فالمعنى هو مدار جوهر اللغة فى عملية الفهم والإفهام، سواء أكان ذلك بين المتكلم والسامع أم بين الخطيب والمتلقى، أم بين الكاتب والقارئ، وهو الصورة الذهنية من حيث وُضع بإزائها اللفظ، ويُطلق على ما يُقصد بالشىء أو على ما يدل عليه القول أو الرمز أو الإشارة. ومنه دلالة اللفظ على المعنى الحقيقى أو المجازى. ويتسع المعنى المجازى فى اللغة العربية للتعبير عن دقائق مستويات المعنى فى التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل[2].

وقد اقتصر الدكتور عبدالكريم خليفة فى بحثه السابق على قضية (المعنى) ومفهومه فى النص المكتوب. ويمكن تلخيص الأفكار التى تعرض لها الدكتور عبدالكريم خليفة على النحو التالى:

١- أن ما وصلنا من نقوش وما كُتب فى الصحف مخطوطًا، وما وصلنا مكتوبًا على ورق البردى، باللغة العربية منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر يشكل ميدان البحث فى مسيرة الكلمة العربية، فى أصولها الأولى وتطورها وتغير معانيها عبر الزمان والمكان.

٢- للمعانى مستويات مختلفة، وفى جميع الأحوال، فإن لكل معنى جانبًا ذاتيًّا

---

(١) انظر: اللغة المصطلحية فى المعجم العربى التاريخى، ص ١١٥.

(٢) انظر: المعنى فى المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع ١٠٩/ ٨٧-٩٧. (بتصرف).

وآخر موضوعيًّا؛ فالجانب الذاتى هو مجموع الأحاسيس والصور الذهنية والمشاعر الوجدانية التى يدل عليها اللفظ، وهى مصحوبة بإرادة الإفهام من جانب السامع أو القارئ. فإذا لم يؤدِّ اللفظ إلى ارتسام صورة ذهنية واحدة فى النفس، لم يتم التفاهم بين الناس، ومع ذلك فإن الصورة الذهنية التى يوقظها اللفظ مختلفة باختلاف الأفراد. وسبب ذلك اختلاف الناس فى تصوراتهم ونزعاتهم ورغباتهم وميولهم. أما الجانب الموضوعى فهو ما تدل عليه الألفاظ من المعانى التى ثبتها الوضع والاصطلاح، وأقرها الاستعمال، حتى صارت مضامينها واحدة، كمعانى الألفاظ المدونة فى المعاجم، والكتب العلمية.

٣- ومن شروط الألفاظ العلمية أن تكون مطابقة للمعانى، وألا تختلف دلالاتها باختلاف العلماء. فالمعانى بمستوياتها وأنواعها المختلفة لا بد أن تكون محور الاهتمام فى استقراء ما يدل عليه اللفظ من خلال قراءة النصوص، وأن تقدم البحوث اللغوية الحديثة من حيث الدلالات والألفاظ والأصوات يجعلها من البحث فى أصول الكلمات وتطورها، من ناحية المبانى والمعانى، فرعًا مهمًّا من فروع علم اللغة.

٤- أن المعنى، هو ما يدل عليه اللفظ، أو هو الفكرة المجردة الدقيقة الدالة على موضوع الشىء، كفكرة الحق، والعدالة، والخير، والسعادة.. ويقودنا هذا إلى التمييز بين أنواع المعانى، البسيطة والمجردة والبديهيات المشتركة، من جانب، ومن جانب آخر إلى طرح موضع الفرق بين المعنى والمفهوم والماهية والحقيقة والهوية.

٥- التعريف السابق للمعنى لا يبتعد كثيرًا عن التعريف اللغوى الذى يورده ابن منظور حيث يقول: (ومعنى كل شىء محنته وحاله التى يصير إليها أمره). وروى الأزهرى عن أحمد بن يحيى قال: المعنى والتفسير والتأويل واحد. وعنيت بالقول كذا: أردت. ومعنى كل كلام معناته ومعنيته: مقصده. والاسم العناء. يقال: عرفت ذلك فى معنى كلامه ومعناه كلامه، وفى معنى كلامه.

٦- أهم ما نواجهه فى المعجم التاريخى للغة العربية، تحديد معانى الاصطلاحات التى نستخدمها فى دراستنا اللغوية. فلابد لنا أن نميز بين المدلول

والمفهوم، وكذلك توضيح العلاقة بين المعنى والدلالة، ونحدد ما هو المعنى؟ وما الفرق بينه وبين الشرح والتفسير؟ وما هو التأويل؟ وما هو التعريف؟ وما الفرق بينه وبين الحد؟ وما الفرق بين القصد والإشارة والمعنى.. إلخ؟ وأن نتوقف عند (معنى النص)، فهل هو ما قصده الكاتب أم ما قصد الكاتب أن يفهمه القارئ؟ أم هو ما فهمه القارئ؟.

٧- يأتى دور قارئ النصوص، فى المعجم التاريخى للغة العربية، وأهمية اختيارهم، ومعرفة تكوينهم اللغوى والثقافى والفكرى.. وأن نفرق بين (القارئ) الذى تختاره المؤسسة، وبين جماعات القارئين المتطوعين الذين يجب أن تستثير (مؤسسة المعجم) هممهم وحبهم للغتهم والاعتزاز بها والشعور بالواجب لخدمتها.

٨- أن قضية ارتباط المعانى بالألفاظ، قد طرحها اللغويون العرب منذ وقت مبكر، ووقفوا وقفة متأنية عند ظاهرة ما يُسمى "الترادف فى اللغة"؛ فمنهم من أخذ به، ومنهم من أنكره، وقال: إن الاختلاف يكمن فيما تكتسبه الكلمة من إيحاءات وتموجات دقيقة من المعنى، تفيدها هذه اللفظة، ولا تفيدها اللفظة الأخرى، فالسيف مثلًا له اسم واحد والباقى صفات... وأن "غدا" و"ذهب" و"سافر" و"راح".. إلخ، يفيد كل منها تموجات من المعنى لا تفيدها الكلمة الأخرى من حيث بنيتها الصرفية والصوتية، وكذلك ما يفيده اللفظ من معنى يكتسبه أيضًا من السياق ومن إيحاءات النص... وأين يقع هذا من موضوع تفسير المعنى، بالوصف أو الترادف أو الضد أو النص، وما الفرق بين الجناس وتعدد المعنى؟ وأين يقع هذا كله من المجاز والاستعارة والكناية والتمثيل...؟ فهذه قضايا مهمة يجب أن تُفرد لها بحوث علمية من أجل بناء خطة متكاملة لبناء " المعجم التاريخى للغة العربية" فى القرن الحادى والعشرين.

٩- " المجاز" فى اللغة العربية، من العوامل الرئيسية المؤثرة فى التغير الدلالى، لا سيما من خلال تتبع المعانى المختلفة للكلمة وفق النصوص وحسب السياق، فالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية، تكوّن المقاصد الأساسية فى علم البيان العربى، أو لا ترى أنك إذا قلت: " هو كثير رماد القِدْر"، أو قلت: " طويل

النجاد"، أو قلت فى المرأة: "نؤوم الضحى"، فإنك فى جميع ذلك لا تفيد غرضك الذى تعنى من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذى يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيًا هو غرضك، كمعرفتك من " كثير رماد القِدر"، أنه مضياف، ومن " طويل النجاد" أنه طويل القامة، ومن "نؤوم الضحى" فى المرأة، أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، وكذا إذا قال القائل: "رأيت أسدًا" ودلك الحال على أنه لم يرد السبع، علمت أنه أراد التشبيه، إلا أنه بالغ فجعل الذى رآه بحيث لا يتميز عن الأسد فى شجاعته.

١٠- الفهم والإفهام غاية اللغة، منثورة كانت أم منظومة، واللغة نظمًا وسياقًا تحدد أنواع المعنى ومستوياته، وأن جوهر المعجم التاريخى يقوم على تتبع سيرة كل كلمة من كلمات اللغة العربية، وذلك من خلال النصوص، وفق أقدم نص وصل إلينا، نقشًا أو كتابة فى الصحف، أو على أوراق البردى، مخطوطًا أو منشورًا، وتبيان التغيرات التى طرأت عليها من حيث الاشتقاق والإبدال والإعلال والنحت، وتطور معانيها فى مختلف العصور، حتى الوقت الحاضر.

١١- من الواجب أن يبرأ المعجم التاريخى من الخلط بين المعنى الحقيقى والمجازى، وأن ينأى بنفسه عن عدم الدقة فى تحديد المعانى واستقصائها، وأن من حق كل كلمة وردت فى هذه النصوص قديمًا أو حديثًا، أن تجد سيرة حياتها، وأن تُفسر.

١٢- أن قضية تأصيل الكلمات، وتتبع الأصول اللغوية التى انحدرت منها، من القضايا المهمة التى تُطرح للبحث والدراسة عند وضع خطة علمية متكاملة للمعجم التاريخى.

١٣- أن البحث فى ماهية المعنى، وأنواعه، ومستوياته، وأهمية السياق فى فهم النص، وتبيان ما وراء المعنى، وما أطلق عليه الجرجانى" معنى المعنى"، تكون قضايا أساسية فى وضع خطة علمية متكاملة لبناء المعجم التاريخى للغة العربية[1].

---

(١) انظر: المعنى فى المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع ١٠٩/ ٨٧-٩٧. (بتصرف).

بعد هذا الاستقصاء لمفهوم المعنى عند من تعرضوا له فإن الباحث يتعرض لقضية المعنى من جانبين؛ الأول نظرى معرفى، والثانى منهجى تطبيقى؛ وذلك على النحو التالى:

١- المعنى من الناحية النظرية المعرفية:

تحتل قضية فهم المعنى المقام الأول بالنسبة لعمل أى معجمى؛ فالفهم والإفهام غاية اللغة، منثورة كانت أم منظومة، واللغة نظمًا وسياقًا تحدد أنواع المعنى ومستوياته؛ فالمعنى- كما بيَّن الدكتور عبدالكريم خليفة- هو مدار جوهر اللغة فى عملية الفهم والإفهام، سواء أكان ذلك بين المتكلم والسامع، أم بين الخطيب والمتلقى، أم بين الكاتب والقارئ، وهو الصورة الذهنية من حيث وُضع بإزائها اللفظ، ويُطلق على ما يُقصد بالشىء أو على ما يدل عليه القول أو الرمز أو الإشارة. ومنه دلالة اللفظ على المعنى الحقيقى أو المجازى. ويتسع المعنى المجازى فى اللغة العربية للتعبير عن دقائق مستويات المعنى فى التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل[(١)]. و" المجاز" فى اللغة العربية، من العوامل الرئيسة المؤثرة فى التغير الدلالى، لا سيما من خلال تتبع المعانى المختلفة للكلمة وفق النصوص وحسب السياق، فالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية، تكوّن المقاصد الأساسية فى علم البيان العربى.

٢- المعنى من الناحية المنهجية التطبيقية:

إذا نظرنا إلى المعنى من الناحية المنهجية التطبيقية عند صناعة المعجم التاريخى، فإن الذى يعنى صانع هذا المعجم- فى المقام الأول- التاريخية ، أو الترتيب الزمنى للمعانى؛ فتُرتب المعانى من الأقدم تسلسلًا إلى الأحدث؛ فالغاية تاريخية بحتة، ويبقى أن يرتب صانع المعجم المعنى الحقيقى قبل المجازى، والحسى قبل المعنوى، والمألوف قبل الغريب، والأصلى قبل الفرعى؛ وذلك فى حالة وحدة الفترة الزمنية، وهذا أمر نادر الحدوث؛ لأن هناك ترتيبًا داخليًّا داخل كل عصر، عن طريق تحديد الأسبق وفاة، أو الأسبق استعمالًا.

---

(١) انظر: المعنى فى المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع ١٠٩/ ٨٧-٩٧. (بتصرف).

وفى النماذج التى قمت بتقديمها تم البدء باستخلاص المعانى والدلالات الكلية من عبارة معجم المقاييس لابن فارس، مع إضافة ما يُستنبط من معانى كلية جديدة، ورصدت فى هذه النماذج أسبق المعانى تاريخيًّا، مع النص على الثبات الدلالى لهذه المعانى عن طريق الإشارة إلى العصور التى استُعملت فيها هذه المعانى فى بداية كل مدخل راجيًا ألا أكون قد أرهقت القارئ بذكر أمثلة جديدة لهذه المعانى عبر هذه العصور؛ فالعناية برصد أول استعمال للمعنى، ورصد المعانى الجديدة فقط؛ وذلك من خلال الدلالات المستنبطة لهذه المادة.(انظر المبحث الثالث من الفصل الثالث).

***

obeikandl.com

المبحث الثانى

طرق شرح المعنى المعجمى

يُعد بيان المعنى والكشف عنه، وتحديده أهم وظيفة للمعجم اللغوى وللمعجم الاصطلاحى؛ ومن ثم يتصل هذا الموضوع بالهدف الأساسى من إنجاز المعجم اللغوى الذى يبدأ بذكر اللفظ ثم يشرح معناه. وعلى الرغم من أن المعاجم اللغوية تقدم للقارئ وظائف كثيرة فإن بيان المعنى المعجمى وشرحه بكل الطرق التى سنتحدث عنها يبقى الوظيفة الأساسية والأهم، وتزداد أهميتها بالنسبة للمعجم التاريخى؛ لأن مسئوليته فى هذا المقام تتعدى شرح المعنى وبيانه والكشف عنه بكل الطرق، إلى بيان الفروق الدقيقة بين المعانى المتعاقبة على اللفظ، والكشف عن العلاقات الواصلة فيما بين هذه الفروق الدقيقة، وكيف تفرعت عن المعنى الأساس الأول، وتطورت عنه.

ولكى نوضح هذه الوظيفة الكبرى للمعجم التاريخى، وهى كبرى بالفعل؛ لأنها تتضمن بداخلها مجموعة من الوظائف الفرعية، يتوجَّب علينا سرد الوسائل أو الطرق التى يتم بها شرح المعنى، تلك الطرق التى تتضح فيما يلى:

أولاً: الشرح بالتعريف:

التعريف يكون تمثيلًا للمعنى بواسطة كلمات أخرى، وأى تعريف ينطوى على جزأين: أولهما: اللفظ المراد تعريفه (المُعَرَّف)، والثانى: التعريف الذى يُقَدّم للمعرَّف، وغالبًا ما يشتمل على أكثر من لفظ[1]؛ ولهذا يقول المناطقة عن التعريف:

(١) مدخل إلى المنطق الصورى، د. محمد مهران، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٥، ص٩٢، صناعة المعجم الحديث، ص١٢١.

إنه مجموعة الصفات التى يكون بها الشىء مميزًا عما عداه، فالتعريف والمعَرَّف تعبيران عن شىء واحد، أحدهما موجز، والآخر مفصَّل، ومن هنا سمَّته الكتب العربية: القول الشارح[1]. ويضع المناطقة أغراضًا للتعريف منها:

١- توضيح المعنى، ومحاولة إزالة الغموض.
٢- إزالة اللبس فى المعانى عندما يتعدد المعنى للفظ الواحد.
٣- ازدياد حصيلة الفرد اللغوية؛ فلن يستفيد الفرد بتعلمه كلمةً ما دون معرفة معناها.
٤- الشرح بطريقة نظرية، ومن ذلك تعريف عالم الكيمياء (للحامض) فهو يقدم هذا التعريف لغرض نظرى فى الأساس[2].

ويُقَسِّم المناطقة التعريف إلى: التعريف الشيئى: وينصب على توضيح شىء (جوهر) لا مجرد اللفظ، وهنا يفرق المناطقة بين الجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض العام، ويتبع هذا التفريق تقسيم التعريف الشيئى إلى أربعة أقسام؛ **التعريف بالحد التام**: ويكون بذكر الجنس القريب، والفصل، مثل (الإنسان: حيوان ناطق)، **والتعريف بالحد الناقص**: ويكون باستخدام الجنس البعيد، والفصل أو الفصل وحده، مثل (الإنسان: كائن حى ناطق)، أو (الإنسان: هو الناطق)، **والتعريف بالرسم التام**: ويكون باستخدام الجنس القريب والخاصة، مثل (الإنسان: حيوان ضاحك)، **والتعريف بالرسم الناقص**: ويكون باستخدام الجنس البعيد والخاصة أو الخاصة وحدها، مثل (الإنسان: كائن حى ضاحك)، (الإنسان: هو الضاحك).

والتعريف الاسمى: وينقسم إلى نوعين، **القاموسى**: وهو يهتم بتحديد لفظ ما كما يستخدمه الناس، **والاشتراطى**: وهو تحديد لفظ يريد الباحث أن يقدمه لغرض معين[3].

---

(١) صناعة المعجم الوسيط، ١٢٢.
(٢) مدخل إلى المنطق الصورى، ص٩٢.
(٣) السابق، ص٩٩ وما بعدها.

" ولكن المعجمى لا يلتزم حرفيًّا بشروط التعريف المنطقى ومواصفاته، والمعجمى حين يعرف يضع فى اعتباره مستخدم المعجم، ويحاول أن يستخدم وسيلة يفهمها القارئ"[١]. وعلى الرغم من أهمية التعريف فى المعجم، فإن المعجمى يعانى كثيرًا عند القيام بعملية التعريف، ومن ذلك:

١- تعريف الكلمات السهلة والمألوفة، حيث تتطلب عند شرحها استعمال كلمات أكثر بساطة، وقد يصعب التوصل إلى مثل هذه الكلمات[٢].

٢- محاولة تعريف التصورات التجريدية مثل "الحُبّ"؛ فهى كلمة يستخدمها كل الناس تقريبًا، ولكن كيف يعرفها المعجمى؟ إنه أمر محير[٣].

٣- كما ثبت صعوبة تعريف كثير من التصورات الحسية مثل منضدة، فنجان[٤].

ووضع الباحثون شروطًا للتعريف الجيد، منها:

١- السهولة والوضوح؛ فلا يُفسَّر اللفظ بلفظ غامض، بل يجب أن يعتمد التعريف على ألفاظ سهلة ودقيقة ومحددة[٥].

٢- الاختصار والإيجاز؛ فالتعريف يكون أكثر ما يمكن بأقل عدد من الكلمات[٦].

٣- الابتعاد عن التعريف الدورى، كأن يقول المعجم الوسيط " الأبيض: لون البياض"، البياض: لون الأبيض"[٧].

---

(١) صناعة المعجم الحديث، ص١٢٢.
(٢) السابق، ص١٢٢، المعجم الإنجليزى، ص٥٩.
(٣) صناعة المعجم الحديث، ص١٢٢، المعجم الإنجليزى، ص٥٩.
(٤) صناعة المعجم الحديث، ص١٢٢.
(٥) السابق، ص١٢٣، المعجم الإنجليزى، ص٥٩.
(٦) صناعة المعجم الحديث، ص١٢٣.
(٧) صناعة المعجم الحديث، ص١٢٤، الوسيط، مادة (ب ى ض)، المعاجم اللغوية، د. إبراهيم نجا، ص٩٢، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ١٩١، ١٩٢، والدلالة فى المعجم العربى المعاصر، ص ٣٢ -٣٥.

obeikandl.com

٤- مراعاة نوع الكلمة المعرَّفة، فتعريف الاسم يجب أن يبدأ باسم، والوصف بوصف...إلخ.

٥- عند تفسير الأسماء المادية يُشار إلى شكلها ووظيفتها، وخصائصها المميزة التى يعتبرها معظم المتكلمين وظائف أساسية.

٦- أن يكون التعريف شاملًا؛ فيجمع كل أفراد المعرَّف، ومانعًا فلا يَدُلّ إلا على المعرَّف فقط.

٧- أن تكون الكلمات المستخدمة فى التعريف محدودة.[١]

وقد لجأت معاجم المجمع إلى طريقة الشرح بالتعريف لتحديد المعنى المعجمى فى كثير من مداخلها، ويتضح ذلك من تأمل بعض الأمثلة الواردة فى المعجم الوسيط والمعجم الكبير، ومن ذلك:

١- المقصورة من الدار والمسرح: حجرة خاصة مفصولة عن الحُجَر المجاورة فوق الطبقة الأرضية. (مج).[٢]

٢- المُدَرَّج: مكان ذو مقاعد متدرِّجة، يُعَدُّ فى قاعات الدراسة للطلبة، أو فى المسارح، أو الملاعب للمشاهدين (محدثة).[٣]

ثانيًا: الشرح بذكر المرادف أو المضاد:

أ- **الشرح بذكر المرادف**: المرادف: كلمة تُماثل أخرى من نفس اللغة من حيث المعنى. وتتلخص هذه الطريقة فى أننا نوضح معنى كلمة بواسطة معنى كلمة أخرى تكون مرادفة لها، ترادفًا تامًّا، وهذا أفضل، أو ترادفًا شبه تام، وهذا أفضل فى الشرح عند الضرورة.[٤]

ومن أمثلة ذلك فى المعجم الوسيط: " الغرامة: الخسارة. وــ فى المال: ما يلزم

---

(١) انظر: الدلالة فى المعجم العربى المعاصر، ص٣٢ ـ ٣٥.

(٢) الوسيط، مادة (ق ص ر).

(٣) المعجم الكبير، مادة (د ر ج).

(٤) انظر: علم الدلالة، ص٢٢٠. (بتصرف).

أداؤه، تأديبًا أو تعويضًا".[١] ومن أمثلة ذلك فى المعجم الكبير: " جَشِع فلان: أخذ نصيبه وطمِع فى نصيب غيره... والجَشَع: أشد الحرص وأسوؤه."[٢]، " بكَّت فلانًا: قرَّعه وعنَّفه".[٣]

ب- **الشرح بذكر المضادّ**: المضادّ أو الضِّدّ كلمة لها معنى يقابل معنى كلمة أخرى، وتتلخص هذه الطريقة فى أننا نوضح معنى كلمة بواسطة معنى كلمة أخرى تكون مضادة لها، من باب أن التقابل أو التضاد يوضح معنى ضده ويظهره. وهناك أنواع من التقابل أو التضاد، وهى:

١- **التضادّ الحادّ**: مثل ميت ـ حى، متزوج ـ أعزب، ونفى أحد عضوى التقابل يعنى الاعتراف بالآخر.

٢- **التضاد المتدرِّج**: ويمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متدرِّج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية، مثل: غال ـ حار ـ دافئ ـ معتدل ـ مائل للبرودة ـ بارد ـ قاسٍ ـ متجمِّد، فالتضاد الخارجى بين غالٍ ومتجمِّد، وهناك تضادات داخلية بين حار وقارس، ودافئ وبارد، ومعتدل ومائل للبرودة.

٣- **تضادُّ العكس**: ويكون بين أزواج من الكلمات، مثل: باع واشترى.

٤- **التضاد الاتجاهى**: ومثاله العلاقة بين : أعلى وأسفل، ويصل ويغادر.

٥- **التضاد العمودى**: مثل الشمال بالنسبة للشرق والغرب؛ حيث يقع عموديًّا عليهما.

٦- **التضاد التقابلى**: مثل الشمال بالنسبة للجنوب، والشرق بالنسبة للغرب[٤].

ويلجأ المعجميون إلى هذه الطريقة باعتبارها الأكثر قربًا إلى الذهن فى بعض الأمثلة. ويعلل الدكتور إبراهيم أنيس ذلك بقوله: " الضِّدّيّة نوع من العلاقة بين

---

(١) المعجم الوسيط، مادة (غ ر م).
(٢) المعجم الكبير، مادة (ج ش ع).
(٣) المعجم الكبير، مادة (ب ك ت).
(٤) علم الدلالة، ص١٠٢ ـ ١٠٤.

المعانى، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أى علاقة أخرى؛ فبمجرد ذكر معنى من المعانى يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن. فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء فى تداعى المعانى، واستحضار أحد المعنيين فى الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر".

أما الشرح بذكر المضاد " فذكره ضرورى فى شرح الأفعال، وأسماء المعانى والصفات لإيضاح معناها، ومن الأفضل أن يأتى تذييلًا للتعريف أو التفسير بالعبارة أو المرادف".

ويمكن القول: إن هذه الطريقة كانت شائعة فى المعاجم القديمة، مما أكسبها صفة الأساسية، وما زالت موجودة فى المعاجم الحديثة والمعاصرة ولكن بصورة قليلة.(١)

ومن أمثلة ذلك المعجم الوسيط: " الدِّقُّ: الدقيق [ضد الغليظ]"(٢) .

ومن أمثلة ذلك فى المعجم الكبير: " دَخَلَ فلان المكانَ ونحوَه: ولَجَه، نقيض خَرَجَ".(٣)، "الأبعد: خلاف الأقرب... البُعْد: خلاف القُرْب".(٤)

ثالثًا: الشرح بتحديد المكونات الدلالية:

تُعد هذه الطريقة من أحدث طرق شرح المعنى المعجمى، و" تقوم فكرة العناصر التكوينية على تحليل المحتوى الدلالى للكلمة إلى عدد من العناصر، أو الملامح التمييزية التى من المفترض ألا تتجمع فى كلمة أخرى سوى الكلمة المشروحة، وإلا كان اللفظان مترادفين، ويتضح الفارق الأساسى بين شرح المعنى بالتعريف وشرح المعنى بتحديد المكونات الدلالية فى عدم تعرض المعجم لذكر السمات الدلالية بطريقة مقصودة عند اللجوء إلى الشرح بالتعريف. أما فى الطريقة

---

(١) انظر: فى اللهجات العربية. د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط٤، ١٩٧٤، ص٢١٠، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص٢١٦.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (د ق ق).

(٣) المعجم الكبير، مادة (خ ر ج).

(٤) السابق، مادة (ب ع د).

الثانية فإن المعجم يلجأ إلى ذكر هذه السمات بطريقة مقصودة وواضحة، بالإضافة إلى الاعتماد على الأسس الفنية لتطبيق نظرية التحليل التكوينى.

وتفيد نظرية العناصر التكوينية، أو النظرية التحليلية صانعى المعجم من جهات ثلاث:

١- تحليل كلمات كل حقل دلالى، وبيان العلاقات بين معانيها.

٢- تحليل كلمات المشترك اللفظى إلى مكوناتها أو معانيها المتعددة.

٣- تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التكوينية المميزة".[١]

وتفيد هذه الطريقة فائدة كبيرة- أيضًا- فى معاجم المترادفات، والمتضادات، ومعاجم الموضوعات، أو الحقول الدلالية، وذلك بتحليل كلمات كل حقل دلالى، وبيان العلاقات بينها، لكن لا مانع من الإفادة منها فى المعاجم اللفظية عند "صياغة التعاريف، وحين محاولة وضع الخطوط الفاصلة بين الكلمات المتقاربة أو المتشابهة فى المعنى، والتى كثيرًا ما يحدث الخلط بينها، ويحتاج ابن اللغة العادى إلى التفرقة بينها مراعاة للصحة اللغوية، وهو محتاج كذلك إلى استخدام هذه النظرية إذا أراد القيام بعملية ربط بين مثل هذا النوع من الكلمات، واستخدام نظام الإحالة من مدخل إلى مدخل آخر".[٢]

ويؤكد الدكتور أحمد مختار عمر أنه ينبغى على المعجمى وهو يستعمل هذه الطريقة أن يراعى فى تعريفه الاتساع؛ حتى يمكن أن يشتمل التعريف على المعنى التضمنى إلى جانب معناه الأساسى، ويكون قادرًا على اشتمال المجازات المحتملة، وبخاصة حين يستقر المجاز ويصبح مكونًا لجزء من النظام.[٣]

وتناسب هذه الطريقة عرض الألفاظ العلمية، وما يقاربها فى المعاجم اللغوية

---

(١) انظر: صناعة المعجم الحديث، ١٢٦، ١٢٧، وانظر كذلك: علم الدلالة. د. أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٥. ١٩٩٨، ص١١٤، وما بعدها.

(٢) صناعة المعجم الحديث ص١٢٧، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص١٩٨، ١٩٩.

(٣) انظر: صناعة المعجم الحديث، ص١٣٠.

العادية؛ لأنها تذكر مكونات المعنى المعجمى للفظ المشروح، ويكثر ورود هذه المكونات، أو يُتوقع ذكرها فى الألفاظ العلمية كما ذكرت، ويتوقع استخدامها كذلك عندما يعرض المعجم مجموعة ألفاظ بينها تقارب فى المعنى، والفروق بين هذه الألفاظ دقيقة للغاية؛ لأنها تشترك فى سمات أو مكونات، وتفترق فى مكونات أخرى.[١]

ولما كانت النظرية التحليلية حديثة العهد؛ حيث قدَّم (Katz)، (Fodor) لأول مرة نظريتهما فى تحديد دلالات الكلمات عام ١٩٦٣م، ثم أُدخلت عليهما تعديلات فيما بعد، فحتى الآن لا نعرف معجمًا فى القديم أو الحديث فى أى لغة من لغات العالم قد قام على أساس من نظرية المكونات الدلالية، ولكن علماء الدلالة هم الذين ناقشوا هذه النظرية ووضعوا أمام صانعى المعاجم نماذج تحليلية كثيرة ينبغى الاستفادة منها فى صياغة تعاريفهم للكلمات، ومعاجم المجمع لا تخرج عن الحكم السابق[٢].

ومن أمثلة ذلك فى المعجم الوسيط: " البَرْطمان: إناء من زجاج أو خزف، تُحفظ فيه المُرَبَّيات ونحوها".[٣]

ومن أمثلة ذلك فى المعجم الكبير: " الجَرَس: أداة من نُحاس أو نحوه مجوَّفة، إذا حُرِّكت تتذبذب فيها قطعة صغيرة صلبة تقرع جوانبها فيُسمع صوتها".[٤]

رابعًا: الشرح بذكر سياقات الكلام:

لا يتضح معنى الكلمة – غالبًا – إلا من خلال السياق الذى تجاور فيه كلمات أخرى، وقد بين الدكتور أحمد مختار عمر قيمة المنهج السياقى فى دراسة دلالات الكلمات بأنه: يجعل المعنى سهل القياد للملاحظة والتحليل الموضوعى، كما أنه لا

---

(١) انظر: الألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص٢٠٠.

(٢) انظر: علم الدلالة، ص١٤، وصناعة المعجم الحديث، ص١٢٦، والدلالة فى المعجم العربى المعاصر، ص١٠٩.

(٣) المعجم الوسيط، مادة (ب ر ط م).

(٤) المعجم الكبير، مادرة (ج ر س).

يخرج فى تحليله اللغوى عن دائرة المعنى، وتحقق دراسة السياقات اللغوية جملة من المميزات منها: سهولة تحديد التعبيرات السياقية، وإمكانية تحديد مجالات التصاحب والانتظام بالنسبة لكل كلمة؛ مما يعنى تحديد استعمالاتها فى اللغة، والاعتماد على الواقع الحى، وليس على المادة التى لا تحيا إلا بالانتقال من معجم إلى معجم، دون أن تحيا خارج المعجم.[1]

وينبغى على المعاجم أن تحدد السياقات المختلفة التى يجب أن تُذكر مع الكلمة للتفريق بين الدلالات المتعددة التى تفيدها، وتختلف من سياق لآخر.

ومثال ذلك كلمة (درس) بدون وضعها فى سياق لا تحمل معنى محددًا، ولكن عندما توضع فى سياق يتحدد معناها مثل ما ورد فى المعجم الكبير:

١- دَرَسَ الشَّىءُ والرّسْمُ: عفا وذهب أثره.
٢- دَرَسَ البعيرُ: جَرِبَ جربًا قليلًا، فطُلى بالقَطِران.
٣- دَرَسَت المرأةُ: حاضت.
٤- دَرَسَ الثوبُ، والدرعُ، والمِغْفَرُ، ونحوها: أَخْلَقَ.
٥- دَرَسَ الشىءُ غيرَه: غيَّره.
٦- دَرَسَ فلانٌ الثوبَ: أَخْلَقَهُ.
٧- دَرَسَ الدابةَ: ذلَّلها وراضها.
٨- دَرَسَ الفراشَ: وطَّأه ومهَّده.
٩- دَرَستِ الريحُ الشىءَ: محتهُ، إذا تكرَّرت عليه فَعَفَتْه.
١٠- دَرَسَ القومُ الشَّىءَ: عفَّوْا أَثرَه.
١١- دَرَسَ فلانٌ المرأةَ: نَكَحَها.
١٢- دَرَسَ الطعامَ: أكَلَه أكلًا شديدًا.
١٣- دَرَسَ الكِتابَ: قَرَأَه وتَعَلَّمَه.

(١) انظر: صناعة المعجم الحديث، ص١٣٤، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص٢١٠.

١٤- دَرَسَ الأمرَ الصعبَ: راضه وذلَّله.[١]

من خلال المثال السابق يتضح أن للسياق دورًا أساسيًّا فى تحديد المعنى. يقول ستيفن أولمان: "إن نظرية السياق إذا طُبقت بحكمة تمثل حجر الأساس فى علم المعنى"[٢]. وقد عرف الدكتور أحمد مختار عمر السياق بأنه " النظم اللفظى للكلمة، وموقعها من ذلك النظم ".[٣]

ومن أمثلة ذلك فى المعجم الوسيط ما جاء فى مادة (ع ق ل):

١- عَقَلَ الغلامُ: أَدْرَكَ ومَيَّزَ.

٢- عَقَلَ الظِّلُّ: انقبضَ وانزوى عندَ انتصافِ النهارِ.

٣- عَقَلَ الشيءَ: أدْرَكَهُ على حَقيقته.

٤- عَقَلَ البعيرَ: ضمَّ رُسْغَ يده إلى عَضُدِه وربطهما معًا بالعِقال ليبقى باركًا.

٥- عَقَلَ الرجلَ: لوى رِجْلَهُ على رِجْلِه وأوقعه على الأرضِ.

٦- عَقَلَ فلانًا عن حاجته: حبَسه عنها.

٧- عَقَلَ القتيلَ: وداه فعقل ديتَه...

٨- عَقَلَ الدواءُ البطنَ: أمسكه بعد استطلاق.

٩- عَقَلَ فلانٌ فلانًا: فاقه فى العقل.[٤]

خامسًا: طرق الشرح المساعدة:

نقصد بطرق الشرح المساعدة تلك الطرق التى يلجأ إليها المعجمى لتوضيح الدلالة بصورة أفضل، وأسرع تقريبًا لهذه الدلالة إلى ذهن القارئ أو مستعمل المعجم، ويلجأ إليها المعجمى إلى جانب الطرق الأساسية السابق شرحها، فيستعين بها مع طريقة أو طريقتين لتحقيق الهدف السابق.

---

(١) انظر المعجم الكبير، مادة (د ر س).

(٢) دور الكلمة فى اللغة، ص٦٧.

(٣) صناعة المعجم الحديث، ص١٣٢، والدلالة فى المعجم العربى المعاصر، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤) المعجم الوسيط، مادة (ع ق ل).

ولا يُفهم من تسميتها (مساعدة) أنها ثانوية، أو أنها لا دور لها إلا مع إحدى الطرق الأساسية، فقد تكون وحدها كافية فى تقديم المعنى واضحًا بارزًا، ويمكن الاكتفاء بها فى هذه الحالة فى تفسير المعنى كما سيتضح من الأمثلة التى سنذكرها مع كل وسيلة قادمة.

بيد أن هذه التسمية (طرق الشرح المساعدة) أطلقها الدارسون من جهة اللجوء إليها فى تفسير بعض الألفاظ، أو شرح بعض المداخل، دون جميع المداخل، كما أنها قد يُستعان بها مع وسيلة أساسية أو أكثر لزيادة توضيح المعنى المعجمى وتقريبه إلى الذهن؛ ومن هنا جاءت هذه التسمية[1].

١- استخدام الأمثلة التوضيحية:

عرف الفكر اللغوى قيمة (المثال) فى توضيح المعنى المراد، وتقريبه إلى الذهن من قديم الزمان، وكلنا يحفظ العبارة المأثورة والمشهورة: (بالمثال يتضح المقال).

وكلما كان المثال مختارًا بعناية، وبدقة، ومتصلًا اتصالًا وثيقًا بما يُراد توضيحه كان ذلك أكثر توفيقًا فى أداء المهمة المنوطة به.

وقد عرَّف اللغويون القدماء ذلك عند تأليفهم المعاجم فاستعانوا بالأمثلة الموضِّحة، فاستخدموا الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشعر والنثر، وأحيانًا أمثلة مصنوعة. واستمر هذا التقليد ساريًا، وضروريًّا حتى العصر الحديث الذى ظلت فيه المعاجم المعاصرة تستعين بالأمثلة التوضيحية فى شرح المعنى وتقريبه إلى الذهن.

و" على الرغم من أنه يمكن اعتبار الأمثلة التوضيحية نوعًا من الشرح بذكر سياقات الكلمة عن طريق تقديم تصاحباتها الحرة فهى تحتاج إلى تناول مستقل نظرًا لوضع المعجميين مواصفات لاستخدامها وصياغتها؛ مما يجعلها مستحقة لأن تُفرد بفقرة مستقلة"[2].

---

(١) انظر: الألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص ٢١٩.

(٢) صناعة المعجم الحديث، ص١٤٤.

وأهم الوظائف التى تحققها الأمثلة التوضيحية ما يأتى:

١- دعم المعلومة الواردة فى التعريف.

٢- وضع الكلمة المشروحة فى سياقات مختلفة، مع مراعاة تحديد النماذج النحوية من خلال هذه السياقات.

٣- تمييز معنى من آخر.

٤- بيان التلازمات المتنوعة للكلمة.

٥- ذكر معلومات لغوية على المستوى الأسلوبى والاستعمالى.

٦- أن المثال التوضيحى إذا كان اقتباسًا نصيًّا فى نفس الوقت فهو يحمل فى داخله جانب التوثيق أو الاستشهاد"[١].

ومن أمثلة هذه الطريقة فى المعجم الوسيط ما يأتى:

"الثعبان: اسم عام لكل حيوان من مرتبة الثعابين رتبة الحرشفيات من الزواحف. ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾(مج)"[٢].

الشغّال: من يقوم بأى نوع من أنواع العمل غير الصناعى مثل " شغّالة الزراعة" (مج)[٣].

ومن أمثلة هذه الطريقة فى المعجم الكبير ما يأتى:

"جَبَرَ فلانًا على الأمر : قهره وأكرهه عليه. يقال: جبره السلطانُ على الأمر[٤]".

٢- استخدام التعريف الاشتمالى:

من طرق الشرح المساعدة التى يلجأ إليها المعجمى فى توضيح دلالته، ومعانى ألفاظه التى يقدمها فى معجمه ما اصطُلح عليه بالتعريف الاشتمالى، وهو " تعريف

---

(١) صناعة المعجم الحديث، ص١٤٥.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (ث ع ب).

(٣) السابق، مادة (ش غ ل).

(٤) المعجم الكبير، مادة (ج ب ر).

الشيء بذكر أفراده، وهو قليل الاستعمال فى المعاجم العامة، ويُستعمل بكثرة – عادة – فى معاجم المصطلحات، والمعاجم الفنية. ويتم التعريف الاشتمالى عن طريق قائمة تحتوى كل التصورات التى تقع تحت اللفظ المشروح مثل تعريف المركبة الآلى بذكر أفرادها (سيارة – دَراجة ناريّة – حافلة – شاحنة-...، وعادة ما يُلجأ إلى هذا النوع من التعريف فى الوثائق القانونية حينما يكون مجال التطبيق للكلمات واجب الوضوح[1]".

" وتكون هذه الطريقة سهلة حين يكون للشيء المعرَّف أفراد قليلون يسهل حصرها[2].

ويمكن تطبيق هذه الطريقة مع المجموعات الآتية:

١- الدرجات العلمية، وتشمل: الليسانس أو البكالوريوس، والماجستير... إلخ.

٢- الجامعات العربية؛ كأن يقال: الجامعات المصرية، وتشمل: جامعة القاهرة، وجامعة عين شمس، وجامعة المنصورة...إلخ.

٣- أقسام الشهور، وأنواعها، إلى الشهور العربية، والشهور القبطية، والشهور القبطية والسريانية، والميلادية.

٤- أيام الأسبوع.

٥- المكاييل مثل (صاع ـ قدح ـ كيلة...إلخ)، والمسافات، والأطوال مثل (سنتيمتر ـ متر ـ كيلو متر ـ ميل...إلخ)، والأوزان مثل (جرام ـ رطل ـ كيلو ...إلخ)، والرتب العسكرية مثل (رئيس ـ ملك ـ سلطان ـ إمبراطور...إلخ)، وألقاب الحكام[3].

ويمكن الاستفادة من هذه المجموعات فى معاجم الترتيب الهجائى عن طريق

---

(١) صناعة المعجم الحديث، ص١٤٥، ١٤٦، وانظر علم الدلالة، ص١٤١.

(٢) معاجم مجمع اللغة العربية، ص١٨٨.

(٣) صناعة المعجم الحديث، ص١٤٦، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص ٢٢٥.

حصره فى ملاحق تذييلية للمعجم، وتتم إحالة إلى هذه الملاحق فى مادة الكلمة المشروحة، كما يمكن الاستفادة منها فى التعريف، كأن يقال عن شهر مارس: إنه الشهر الثالث من السنة الميلادية، ويعقبه أبريل، أو يقال عن يوم الجمعة : إنه اليوم السابع من أيام الأسبوع، ويسبقه الخميس، ويتبعه السبت. ومعاجم المجمع لم تستخدم هذه الطريقة فى شروحها.(١)

٣- استخدام التعريف الظاهرى:

"يلجأ المعجمى أحيانًا إلى تلك الوسيلة المساعدة المسمَّاة شرح المعنى باستخدام التعريف الظاهرى، أو التمثيل الظاهرى، ويعتمد على إعطاء مثال أو أكثر من العالم الخارجى للمدخل المشروح، أو " هو إعطاء الكلمة – عند العجز عن توضيح معناها بإحدى الوسائل الأساسية، أو المساعدة – مثالًا، أو أكثر من العالم الخارجى، مثل تعريف (الأبيض) بأنه ما كان بلون الثَّلج النقى، أو ملح المائدة المعروف"(٢).

ومن الأمثلة التى استخدم المعجم الوسيط فيها طريقة التعريف الظاهرى فى شرح دلالة بعض الألفاظ المحدثة:

"المُلْحَق: موظف يُعين فى سفارة الدولة للقيام بعمل خاص، كالمُلحَق العسكرى، والمُلْحَق الثقافى، والصحافى،..(مج)".(٣) ويُلاحظ هنا أن المعجم الوسيط استخدم التمثيل الظاهرى بعد التعريف الأولى؛ حيث اعتمد على تقديم مثال واقعى كالملحق العسكرى والثقافى، والصحافى، وتقديم المثال الواقعى فى كثير من الأحيان يساعد على وضوح المعنى فى ذهن مستعمل المعجم.

ومن أمثلة ذلك فى المعجم الكبير:" الجَسْر، والجِسْر: ما يُعبر عليه كالقنطرة ونحوها".(٤)

---

(١) انظر: صناعة المعجم الحديث، ص ١٤٦، والدلالة فى المعجم العربى المعاصر، ص ٢٠٢، ٢٠٣، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) صناعة المعجم الحديث، ص١٤٧.

(٣) المعجم الوسيط، مادة (ل ح ق).

(٤) المعجم الكبير، مادة (ج س ر).

٤- استخدام الصور التوضيحية والرسوم:

" تلجأ بعض المعاجم إلى استخدام الصور والرسوم التوضيحية؛ لتجسيم المعنى، والإشارة إليه كأنه شيء موجود حاضر بذاته، أو بنموذجه..، وهذا النوع من التعريف يدخل تحت ما يُسمى بالتعريف الإشارى Ostensive definition، وهو أكثر استخدامًا فى معاجم الأطفال محاكاة لما هو موجود فى الواقع"[١].

وهذا معناه أن هذه المعاجم تستخدم الصورة وسيلة " لإيضاح المعرَّف، حيث تزداد أهميتها فى المداخل الحسية مثل أعضاء جسم الإنسان، والحيوان، والنباتات المختلفة والأجهزة الكهربائية والإلكترونية، وغير ذلك مما تساعد الصورة فيه على إدراك المعنى وفهمه"[٢].

ويمكن تعريف هذه الوسيلة بأنها " تشكيلات الخط والنقطة والمساحة أو أى تشكيل لهذه العناصر الثلاثة يمثل الحوادث، أو الذوات (أشخاصًا وأماكن وأشياء)...، ويجب أن يُوسَّع التعريف ليشمل بعض الحالات المشتبه فى نسبتها مثل أعمدة الأرقام، والأشكال الهندسية، والمعادلات الكيميائية، والخطوط والرسوم البيانية"[٣].

ولم تعد الرسوم من مميزات معاجم الصغار فقط ، بل غدت الرسوم والصور بأهمية الشواهد أحيانًا، كما يقول الصينيون" الصورة أفضل من مئة كلمة شرح"، والواقع أن الصورة فى معاجمنا ثانوية الأهمية إلى حد بعيد، والذى نشاهده فى معاجمنا هو رسوم الأشياء المألوفة التى لا تحتاج إلى شرح صورى، وحتى يكون الرسم شرحًا فعالًا ينبغى أن يكون ممثلًا دلاليًّا بحد ذاته.[٤]

---

(١) صناعة المعجم الحديث، ص١٤٨.

(٢) انظر: المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص١٢٤، المعجم العربى بحوث فى المادة والتطبيق، ص٢٥٦، معاجم مجمع اللغة العربية، ص١٩٤.

(٣) علم اللغة وصناعة المعجم. على القاسمى، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٩١، ص١٤٨، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) المعجم الوسيط، المقدمة، ص١١.

وقد استعانت معاجم المجمع بالصورة فى شرح المعنى المعجمى، وتقريبه إلى الذهن، ونصَّ الوسيط على ذلك فى مقدمته قائلًا: " وصدَّرت (أى لجنة الوسيط) ما يحتاج إلى تصوير"[(١)]. (انظر فى ذلك مداخل (بيت الإبرة)، و (الأُخطبوط)، و(الأناناس)[(٢)].

وجاء فى مقدمة المعجم الكبير أيضًا تحت عنوان " الرسوم والصور": " اقتضى الجانب الموسوعى بها، ولا سيما ما اتصل منها بالحيوانات والنباتات"[(٣)].

ونخلص مما سبق إلى أن الطرق السابقة ستُستخدم فى المعجم اللغوى التاريخى، وهذا ما أكده الدكتور محمد حسن عبد العزيز؛ حيث عرض لذلك ضمن أعمال لجنة المعجم التاريخى المنبثقة عن اتحاد المجامع اللغوية العربية، تحت عنوان" طرق شرح المعنى"؛ حيث أكد أن ثمة طرقًا عديدة سلكتها المعاجم القديمة والحديثة، وليس واحد منها بكافٍ أو بممكن دائمًا؛ ولهذا ينبغى سلوك ما يناسب الأحوال، ومن هذه الطرق:

- الشرح بالتعريف.
- الشرح بتحديد المكونات الدلالية.
- الشرح بذكر سياقات الكلمة.
- الشرح بذكر المرادف أو المضاد.
- الشرح بالأمثلة المفسرة وبالأقسام والأجزاء.
- الشرح بالصور والرسوم[(٤)].

***

(١) انظر: علم الدلالة، ص١٤، وصناعة المعجم الحديث، ص١٢٦، والدلالة فى المعجم العربى المعاصر، ص١٠٩.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مواد (أ ب ر، أ خ ط ب و ط، أ ن ا ن اس).

(٣) انظر: المعجم الكبير، حرف الهمزة، المقدمة ص ر.

(٤) المعجم التاريخى للغة العربية، د. محمد حسن عبد العزيز، مجلة المجمع ١٠٩/ ١١٣.

المبحث الثالث

التغير الدلالى فى المعجم اللغوى التاريخى

احتلَّ موضوع (التغير الدلالى) أو (التطور الدلالى) موقعًا مهمًّا فى البحث الدلالى- منذ نشأته فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ لأسباب كثيرة، منها: سيطرة الدراسة التاريخية والمقارنة على البحث اللغوى طوال القرن التاسع عشر، ومنها: ظهور علم الدلالة الحديث على يد (ميشيل بريال) فى فرنسا فى ظل البحث التاريخى، وأدى ذلك إلى أن كان التغير الدلالى وتطور المعانى من أهم الموضوعات الدلالية التى تدارسها العلماء.

يضاف إلى ما سبق انحصار الدرس الدلالى بصفة أساسية فى قضايا المعنى المعجمى ودلالة المفردات التى هى بطبيعتها سريعة التطور والتغير.

أدت الأسباب السابقة كلها إلى احتلال هذا الموضوع مكانة مهمة فى البحث الدلالى، ويضاف إلى ذلك فى موضوعنا هذا أن التغير الدلالى هو لُبُّ المعجم التاريخى وجوهر العمل فيه؛ لأنه يرصد استعمال الألفاظ ودلالاتها عبر مراحل استعمالاتها والتغيرات التى طرأت عليها.

ومن أمثلة ذلك:

✖ **لفظ (مَرْحَلَة)** ما زال مستعملًا فى الإشارة إلى معناه القديم (فترة زمنية معينة)، وإلى جانب ذلك يُستعمل فى الدلالة الحديثة فى (فترة زمنية تعليمية فى المدارس والجامعات كالمرحلة الابتدائية مثلًا)[1].

---

(١) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثالث من هذا الكتاب (ر ح ل).

✖ **لفظ (قِطار)** تُنُوسيَت دلالته القديمة وهى (عدد من الإبل بعضه خلف بعض على نسق واحد. يقال: جاءت الإبل قِطارًا: مقطورة) ، وصار دالًّا على المعنى الحديث فقط، وهو (مجموعة من مركبات السكة الحديدية تجرها قاطرة)[1].

أولاً: تعريف الدلالة لغة واصطلاحًا:

١- **الدلالة فى اللغة**: الدلالة مصدر الفعل (دَلَّ)، التى تدل على الإبانة والإرشاد؛ جاء فى مقاييس اللغة لابن فارس: " الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب فى الشيء"[2]، وجاء فى المعجم الكبير: " دلَّ فلانٌ فلانًا على الشيء، وإليه (كقَتَلَ) ـُ دلًّا، ودَلالةً، ودِلالةً ،(والفتح أعلى) ، ودُلولةً : أرشد. وفى القرآن الكريم: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ (سبأ: ١٤). وفى الخبر: " الدالّ على الخير كفاعله". ويقال: دلَّه على الطريق ونحوه: هداه إليه"[3].

٢- **الدلالة فى الاصطلاح**: جاء فى المعجم الكبير: " علم الدلالة (فى اللغة) Semantics : فرع من علم اللغة، يختص بدراسة معانى الألفاظ والعبارات، والتراكيب اللغوية"[4].

التغير الدلالى :

ينبغى تعريف التغير الدلالى قبل الخوض فى بقية النقاط المتصلة به فى مشروع المعجم التاريخى، وحتى يتم لنا ذلك نحدد المراد من التغير اللغوى؛ لأن الدلالة جزء من اللغة، والتغير الدلالى جزء من التغير اللغوى.

- نعلم جميعًا أن اللغة " ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئًا فى بعض الأحايين، فالأصوات والتراكيب والعناصر

---

(١) المعجم الوسيط، مادة (ق ط ر).
(٢) مقاييس اللغة، مادة (د ل ل).
(٣) المعجم الكبير، مادة (د ل ل).
(٤) السابق نفسه.

obeikandl.com

النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هى التى تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة"[1].

وإذا أردنا أن نحدد مفهوم التغير اللغوى بصفة عامة، والتغير(التطور) الدلالى بصفة خاصة فإننا لا نجد أفضل من محاولة أستاذنا الدكتور كمال بشر فى هذا الشأن؛ فقد صنف آراء اللغويين الذين تعرضوا لتحديد المراد من التطور اللغوى فى أربعة آراء، هى [2]:

١-**الأول** : يرى أن التطور هو الانتقال من طور إلى طور أحسن، وأفضل.

٢-**الثانى** : يرى أن التطور هو الانتقال من الحسن إلى الأسوأ، أى أنه يُعَدُّ ضربًا من الخطأ.

٣-**الثالث** : يرى أن التطور نوع من الانحراف، أى تغيير لا يوصف بحسن، لكنه – فى الوقت نفسه- لم يصل إلى حد الخطأ.

٤-**الرابع** : يرى أن التطور هو مجرد التغيير الذى ينتقل بالظاهرة اللغوية من طور إلى طور آخر.

ويعقب الأستاذ الدكتور كمال بشر على هذه الآراء بما يكشف عن رأيه هو فيها، وتتلخص تعقيباته فيما يأتى:

١-**القول بالرأى الأول**: التطور انتقال إلى الأحسن- فيه هدم لقواعد اللغة الثابتة المستقرة، وفتح الباب لكثير من الثغرات التى يتسرب منها الخطأ واللحن إلى نظام اللغة.

٢-**القول بالرأى الثانى**: التطور انتقال إلى الأسوأ- فيه تجميد للغة، وتقييد

---

(١) دور الكلمة فى اللغة، ص ١٥٣، وانظر: أسس علم اللغة، لماريوباى، ص ٧١، وانظر التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه، ص ٦.

(٢) انظر دراسات فى علم اللغة، ص ١٢٤، ١٢٥.

لحركتها، وحكم عليها بالإعدام، والأخذ بهذا القول بعيد عن طبيعة اللغة، وحركتها فى الاستعمال.

٣-القول بالرأى الثالث : التطور نوع من الانحراف- فيه إصدار حكم سابق على شىء لم تتحدد اتجاهاته بعد.

٤-القول بالرأى الرابع : التطور مجرد تغيير من طور إلى طور- رأى يقوم على فهم واقعى لطبيعة اللغة ولسنة التطور الذى يصيبها. والتطور حسب هذا المفهوم عملية مستمرة، وهو يحدث فى كل مستويات اللغة، ويصيب معظم عناصرها.

وينبغى أن يرصد الباحثون هذا التغيير، ويتابعوا حركته، ويرصدوا أشكاله والطرق التى سلكها ليصل إلى اللغة، ثم يسجلوا آثار هذا التطور[(١)].

ومن المعلوم أن هذا التطور، أو التغير اللغوى يصيب جميع عناصر اللغة، غاية الأمر أنه يكون ملحوظًا فى قطاع، وغير ملحوظ فى قطاع آخر، وسريعًا فى مستوى لغوى، أو ظاهرة منه، وبطيئًا فى مستوى آخر، أو فى ظاهرة منه، كما أنه قد يتسارع حدوثه فى زمن بعينه، أو فى مكان بعينه، دون زمن آخر أو مكان آخر، بحسب الظروف والعوامل التى تؤدى إلى الإسراع بحدوثه أو التى تحد من سرعته.

يصدق كل ما قيل عن التغير اللغوى بصفة عامة على التغير الدلالى. غاية الأمر أن التغير الدلالى وإن كان خاضعًا للقانون العام للتطور اللغوى يختص بعوامل تؤثر فيه وجودًا وعدمًا، قوة وضعفًا، سرعة وبطئًا، كما يختص بوسائل يعتمد عليها فى حدوثه، وباتجاهات يسلكها فى تغيره.

إذن يصدق كل ما ذُكر عن التطور اللغوى بصفة عامة على التغير الدلالى؛ ذلك لأن "تغير المعنى ليس إلا جانبًا من جوانب التطور اللغوى، ولا يمكن فهمه فهمًا تامًّا إلا إذا نظرنا إليه من هذه الزاوية الواسعة"[(٢)] ويشير ذلك إلى أن:

---

(١) انظر: لحن العامة فى ضوء التطور اللغوى، ص ٣١ ، وانظر التطور النحوى، ص ٢١، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص ٣٥٤- ٣٥٧.

(٢) دور الكلمة فى اللغة، ص ١٥٣.

"تطور الدلالة، أو تغير معانى الكلمات، ظاهرة شائعة فى جميع اللغات، أكدها الدارسون لمراحل نمو اللغة، وأطوارها التاريخية"[١] فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئًا فى بعض الأحيان"[٢].

وقد أثبت اللغويون المحدثون أن اللغة فى تطورها الدلالى – كتطورها الصوتى– تسير وفق اتجاهات عامة، وفى نماذج رئيسية تمكن الدارسون من تحديد معالمها وتعرف خطوطها، حتى انتهوا إلى ما سموه "قوانين المعنى" وإن كانت هذه القوانين لا تزال بحاجة إلى مزيد من البراهين الواقعية قبل الحكم على صحتها، ومدى اطرادها، حكمًا سليمًا"[٣].

وإذا حاولنا معرفة الطابع العام للتغير الدلالى واتجاهاته وجدنا أن "كل المعانى فى طورها الأول كانت حسية ملموسة، وبتقدم الحياة والفكر من جهة، وقلة المفردات من جهة ثانية، وجد الإنسان نفسه مضطرًا لاستعمال مفردات قديمة لمعان جديدة على طريق التجوز والتوسع"[٤].

نخلص من جميع ما سبق إلى أن "تطور اللغة.. ليس عملًا تعسفيًّا معاديًا للقيم التقليدية؛ بل هو ظاهرة مصاحبة لتطور المجتمع ولتغير البيئة، والكلمات لا تتغير– ببساطة– لكى تنحط كما يزعم التقليديون فثمة نواحٍ إيجابية فى التغير أيضًا"[٥].

والتغير الدلالى semantic change مصطلح من مصطلحات علم الدلالة الحديث، وهو عبارة عن تركيب وصفى يدل على حدث موصوف خال من الدلالة على الزمان ، ويُطلق هذا المصطلح على تغير معنى الكلمة على مر الزمن بفعل إعلاء أو انحطاط أو توسع أو انحسار أو مجاز ، أو نحو ذلك ، **وهذا الجانب من الدراسة الدلالية ينتمى إلى علم الدلالة التاريخى.**

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩، ص ٣٥٩.

(٢) دور الكلمة فى اللغة، ص ١٥٦.

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص ٣٥٩، وانظر: دور الكلمة فى اللغة، ص ١٩٢.

(٤) العربية الفصحى الحديثة، ص١٥٧، ١٥٨.

(٥) السابق، ص ١٥٦.

وهذا التغير الدلالى للمفردات يُعد من الحقائق المقررة لدى علماء اللغة المحدثين، وتتعدد المصطلحات الدالة على طرق التغير الدلالى بينهم ، فمنهم من يطلق عليه مظاهر التغير الدلالى، وبعضهم يسميه قوانين التغير الدلالى ، ويشير هؤلاء العلماء إلى أشكال متعددة للتغير الدلالى ، هذه الأشكال جديرة بأن ترصد حركة الدلالة فى دورانها مع ألفاظ اللغة بمرور الزمن ، **وتُعد هذه المظاهر أهم المقومات التى يقوم على عاتقها صناعة المعجم التاريخى بصفة خاصة ، والمعاجم الأخرى بصفة عامة .**

ولا يخفى على كل متتبع ودارس، أن دلالة اللفظ تتطور بفعل ما يحدث من ظواهر تاريخية واجتماعية ونفسية ، فألفاظ تُبنى وأخرى تُستحدث ، وألفاظ تفقد دلالتها الأصلية؛ وهذا لأن اللغة كالكائن الحى ينمو ويتغير بمرور الزمن ، ثم إن العلاقات بين المجتمعات وظهور ظروف جديدة تطرأ عليها لها أثر كبير فى تغيير الدلالات أو بالأحرى تطور هذه الدلالات. ومن العوامل المهمة فى التغير الدلالى ما يأتى:

١- العامل الاجتماعى:

الإنسان بطبعه اجتماعى يتنقل بين مكان وآخر، ويلتقى أبناء مجتمعه أو المجتمعات، ويواكب الحضارة فى تطورها، فمن هنا تنشأ دلالات جديدة للفظ بما تفرضه الحاجة إليه وبما يتعلق بحياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ لكونه يتعامل مع الحياة بالشكل الطبيعى، وتُعد وسيلة الاتصال هى الوسيلة الكبرى؛ فلذا تنتج دلالات جديدة لألفاظ مستحدثة أو جديدة ، فعندما اكتُشفت بعض الآلات وُضع لها ألفاظ بدلالاتها، مثل السيارة.

٢- العامل النفسى:

من العوامل المهمة فى تطوير دلالات اللغة ، حيث تُستعمل أحيانًا مفردات لها مدلول نفسى على المتلقى ، فنقول للأعمى (بصير)، وهذا المعنى وإن كان مضادًّا للمعنى الحقيقى فقد أخذ مدلولًا أوسع مما كان عليه بحيث آثر الجانب النفسى فى إطلاق دلالته.

٣- العامل التاريخى:

وهو من العوامل المهمة؛ فالدلالة أخذت تناغمًا مع اللفظ القديم واستنطقته فدلَّ دلالة جميلة، فلو أخذنا مثلًا كلمة قطار؛ فهى بالأصل موضوعة لقافلة الجمال، والآن تدل على وسيلة النقل المعروفة[1].

وينبغى أن نستثمر الموضوع كله فى صناعة المعجم التاريخى عن طريق تتبع التغيرات الحادثة فى دلالة الألفاظ واستعمالها. بيد أنه لا بد من استعراض سمات التغير الدلالى وعوامله حتى يتسنى لنا سهولة الرصد والدراسة وتسجيل الملامح العامة لتغير الدلالة.

سمات التغير الدلالى :

يمثل التغير الدلالى جانبًا من جوانب التغير التى تحدث للغة ، كالتغير الصوتى، والصرفى ، ويتسم التغير اللغوى بصفة عامة ، والتغير الدلالى بصفة خاصة بالسمات الآتية :

١- أنه يسير ببطء شديد ، ليس للفجاءة نصيب فى حدوثه ، بل إن تغير دلالة الكلمة يستغرق وقتًا طويلًا .

٢- ويرى الدكتور على عبد الواحد وافى أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلى لا دخل للإرادة الإنسانية فيه، وهذا يكون فى غالب الأحيان ، وليس فى جميعها ، ففى مجال الاصطلاح تجد أهل التخصص يتواضعون على نقل دلالة اللفظ ، لكى يتفق مع ما يريدون منه من معنى ، بحيث يتناسب مع مجال استعمال اللفظ فى تخصصهم .

---

(١) انظر فى ذلك: لحن العامة والتطور اللغوى، د. رمضان عبد التواب، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٦٧، ص ٤، وانظر التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، القاهرة، ودار الرفاعى بالرياض ط١، ١٩٨٣، ص٣، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، د. على الصراف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩، واللغة والمجتمع ، د.على عبد الواحد وافى، لجنة البيان العربى بالقاهرة، ١٩٤٦، ص ٧٨.

٣- أنه جبرى ، فهو يخضع لقوانين دلالية، كالتخصيص، والتعميم، والانتقال.

٤- أن الدلالة الجديدة للفظ ، ترتبط غالبًا بالدلالة التى كان عليها، والتى انتقل منها بإحدى علاقات المجاز المرسل ، أو علاقة المشابهة ، وهذه العلاقات يعتمد عليها تداعى المعانى فى الذهن البشرى .

٥- أن التغير الدلالى فى غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان ، فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة ، وعصر خاص ، ولا نكاد نعثر على تغير دلالى لحق جميع اللغات الإنسانية ، فى صورة واحدة ، ووقت واحد .

٦ - أنه إذا حدث تغير دلالى ، فى بيئة معينة ظهر أثره فى استعمال جميع أفراد هذه البيئة [١].

عوامل التغير الدلالى:

تنوع استعراض اللغويين والدارسين لهذه العوامل ما بين مفصِّل ومجمِل، وموسِّع ومضيِّق.. إلخ. فقد عرض الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس هذه العوامل إجمالًا تحت عاملين كبيرين أساسيين هما: الاستعمال [٢]، والحاجة [٣]، وعرض تحت الاستعمال: سوء الفهم، وبِلى الألفاظ، والابتذال، أما الحاجة فعرض من عناصرها ودوافعها، التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى، الذى يدفع إلى إحدى وسيلتين:

١- أولاهما أن يعمد إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيى بعضها ويطلقه على مستحدثاته ملتسمًا فى ذلك أدنى ملابسة.

---

(١) انظر فى ذلك: لحن العامة والتطور اللغوى، والتطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه، وتطور دلالة الكلمة فى المعجم العربى فى ضوء استخدام اللغة العربية المعاصرة فى مصر، خالد حسن أبو غالية، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم- فرع الفيوم، ٢٠٠٤، ودلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧.

(٢) انظر دلالة الألفاظ، ص ١٣٠- ١٤١.

(٣) انظر السابق، ص ١٤١- ١٤٧.

٢- الالتجاء إلى ألفاظ اللغات الأجنبية فيستعار منها ما تمس الحاجة إليه حينًا، وما لا حاجة إليه حينًا آخر.

وما عرضه الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس، وغيره بالطبع، يمكن تناوله بصورة أخرى تحت ما يُسمَّى العوامل اللغوية، والعوامل غير اللغوية، ويُقصد بالعوامل اللغوية تلك النابعة من داخل اللغة نفسها، أما العوامل غير اللغوية فهى التى تخضع لحركة المجتمع وتطوره فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية...إلخ [١].

والتقسيم الأخير يكاد ينطبق بصورة أو بأخرى على تقسيم الدكتور أنيس، فالاستعمال يضم العوامل اللغوية، والحاجة تضم العوامل غير اللغوية، وتضم اللغوية كذلك.

ننبه أخيرًا إلى تداخل العوامل السابقة كلها، أو تفريعاتها فى إحداث التطور؛ لأن هذا التطور شىء مركب أو معقد تعقد اللغة نفسها، وتعقد المعنى، أو الدلالة التى تشير إليها هذه اللغة؛ ومن ثم كان الحديث عن تأثير هذا العامل أو ذاك، فى تطور دلالة تلك اللفظة أو غيرها حديثًا أملاه الدرس والبحث العلمى فقط، وإلا فإن اللفظ الواحد يتدخل فى تغيير دلالته عاملان فأكثر، لغوى، وغير لغوى، مباشر وغير مباشر.

يقول ستيفن أولمان: "تغير المعنى ليس إلا جانبًا من جوانب التطور اللغوى، ولا يمكن فهمه فهمًا تامًّا إلا إذا نظرنا إليه من هذه الزاوية الواسعة"[٢].

وهذا التغير الدلالى له أسباب، وعوامل كثيرة ، وقد يشترك عاملان فأكثر فى إحداث التطور؛ ومن ثم يكون الحديث عن عامل معين حديثًا عن عامل آخر، أو

---

(١) جمعها بعض الباحثين فى اثنى عشر عاملًا فرعيًّا كذلك، من أهمها: كثرة الاستخدام والتطور الحضارى، وسوء الفهم، والأسباب التاريخية، وتطور طبيعة المدلول، واختلاف طبقات المجتمع.. إلخ (انظر: تطور دلالة الكلمة فى المعجم العربى فى ضوء استخدام اللغة المعاصرة فى مصر، ص ٥١٤).

(٢) دور الكلمة فى اللغة، ص ١٥٣.

عوامل أخرى بطريق التضمن بصورة، أو بأخرى؛ ولذلك يقول ستيفن أولمان: "يجب أن نعلم على كل حال أن أسباب تغير المعنى معقدة متشابكة إلى درجة تجعل من العسير علينا أن نرجعها جميعًا إلى الحاجة النفعية الصرفة"[1].

وسنعرض هنا لأهم عوامل التغير الدلالى وبعض الأمثلة وتحليلها:

أولاً: عامل الحاجة :

الحاجة إحدى العناصر المهمة فى تطور الدلالة، وهذا ليس جديدًا بل عبر عنه ابن جنى بقوله: "اختراع الصناع لصنائعهم" فها أنت فى العصر الحديث تسمع كلمة (المحمول) بشكل اشتُهرت للحاجة إلى مثل هذه المفردة، وهى واضحة الدلالة ولا تحتاج إلى تفسير، و أحيانًا تدعو الحاجة إلى استعمال الألفاظ غير العربية لعدم وجود مرادف لها فى العربية ، إلا أن بعض المجامع اعترضت على ذلك كالمجمع العلمى العراقى و السورى، وكانوا دائمًا يجدون حلًّا لمثل هذه الألفاظ، والحاجة إلى استعمال اللفظ أمر طبيعى.

وقد وصلت اللغة العربية إلى أوج تطورها وأصبحت عالمية لأسباب ، منها ما هو دينى و منها ما هو علمى ، إلا أننا لو تتبعنا اللغة قبل ظهور الإسلام لوجدنا أن العرب كانوا ينتقون ويستعيرون أجمل الألفاظ من اللغات الأخرى مما أدى إلى تطور لغتهم ، فانظر كلمة فردوس ، وحرير، وإستبرق، وإلى غير هذه الألفاظ تجد أن جمال الجرس و الصوت ، ووقعها الجميل أثار الذهنية العربية فانتقلت دلالاتها بهذه الصورة ، وهذا لا ينحصر فقط بهذا الأمر بل يتعدى إلى الأسباب التاريخية والسياسية و إلى غير ذلك[2].

---

(١) دور الكلمة فى اللغة، ص ١٥٣، ويذكر جوزيف فندريس المعنى السابق نفسه فيقول: "وبالاختصار فإن الأسباب التى تؤدى إلى تغير الظواهر ليست فى أية مادة أكثر تعقيدًا ولا عددًا، ولا تنوعًا منها هنا"، أى فى التغير الدلالى، والعنوان: كيف تغير الكلمات معانيها؟ (انظر اللغة، ص ٢٤٧).

(٢) انظر فى ذلك: لحن العامة والتطور اللغوى، والتطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه، وتطور دلالة الكلمة فى المعجم العربى فى ضوء استخدام اللغة العربية المعاصرة فى مصر، ص ٢٢٠ ، ودلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧، الألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

ويكاد عامل (الحاجة) أن يقف وراء جميع أنواع التغير الدلالى، واتجاهاته، ووسائله، ويكاد يقف وراء جميع الأمثلة التى تغيرت دلالاتها، **ويجب على المعجم التاريخى أن يعرضها، ويوضح التغير فيها.**

فمثلًا يضع ستيفن أولمان (عامل الحاجة) فى مقدمة الأسباب الداعية إلى تغير المعنى، أو تطور الدلالة، فيقول: "من هذه الأسباب ما هو معروف، ومألوف لنا من قبل، وهو الحاجة إلى كلمة جديدة، أو كلمة أقدر من غيرها على التعبير عن المقصود، فإذا احتجنا مثلًا إلى كلمة مناسبة لإطلاقها على تسجيل بمعنى الأسطوانة المعروفة فى عالم الغناء والموسيقا فأقرب طريق إلى ذلك هو أن نوسع فى معنى كلمة: تسجيل (مصدرًا) بحيث تشمل التسجيل بمعنى أسطوانة، أو مسجِّل، بالإضافة إلى عملية التسجيل نفسها"[(١)].

وإذا حاولنا تحديد مفهوم (الحاجة)، أو تعريفها، فيمكن القول بأن المراد منها أن يكون المجتمع، أو الجماعة اللغوية مضطرة إلى العثور على استعمال لغوى يلبى مطلبًا جديدًا، أو يعبر عن معنى جديد، أو يُسمِّى ظاهرة جديدة، أو يشير إلى فكرة طرأت على استعمالات هذه الجماعة اللغوية.

ويوضح الدكتور إبراهيم أنيس ذلك بصورة مفصلة؛ إذ يُصرِّح بأن هذه الحاجة تتمثل فى (التجديد فى التعبير)[(٢)] وفى (حاجة الأديب إلى توضيح الدلالة، أو تقوية أثرها فى الذهن) [(٣)]، وفى استجابة (الأمم عادة لمظاهر الحياة) الناتجة عن التطور الحضارى [(٤)].

يقول: "تتبع اللغاتُ الأممَ فى صعودها وهبوطها، وفى تطورها وتغيرها؛ إذ لا وجود للغة بغير المتكلمين بها، ولا تحيا إلا بحياة أبنائها، فكل تطور فى حياة الأمة

(١) دور الكلمة فى اللغة، ص ١٥٢.
(٢) دلالة الألفاظ، ص ١٤٢.
(٣) السابق نفسه.
(٤) السابق نفسه.

يترك أثرًا قويًّا واضحًا فى لغتها، ويعنينى هنا ذلك الأثر المتعمد الذى يُقصد إليه قصدًا؛ لأن مظاهر الحياة تتطلبه وتدعو إليه"[١].

وإذا كان الدكتور إبراهيم أنيس قد ذكر وسيلتين لغويتين لتلبية هذه الحاجة هما: إحياء بعض الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة، وإطلاقه على المستحدثات[٢]، والالتجاء إلى ألفاظ اللغات الأجنبية واستعارة ما تمس الحاجة إليه[٣]؛ فإن ستيفن أولمان حدد أربع طرق لتلبية هذه الحاجة يقول: "هناك أربع طرق يستطيع أن يسلكها المتكلم حين تدعو الحاجة إلى سد هذا النقص فى الثروة اللفظية للغة؛ ففى إمكانه أن يبتكر كلمات جديدة، أو أن يلجأ إلى إحدى السبل المعروفة فى صوغ الكلمات، أو أن يقترض كلمات من لغة أخرى، أو أن يغير فى معانى الكلمات الموجودة بالفعل"[٤].

وما يهمنا من كلام ستيفن أولمان ما يتصل بالسبيل الأخير، وهو تغير دلالة الكلمات الذى يعرض له هذا المبحث، ذلك التغير الذى تدعو إليه الحاجة لسد النقص فى الثروة اللفظية.

وهذا النقص "لا يكف عن الظهور فى الكلام الإنسانى دائمًا وأبدًا"[٥]؛ ومن ثم تظل الحاجة تستدعى زيادة وتنمية فى الثروة اللفظية، وتغير الدلالة مظهر لهذه الزيادة، ونتيجة لهذا العامل.. (الحاجة).

وعلى المعجم التاريخى رصد جميع التغيرات الدلالية الناجمة عن عامل الحاجة، وتسجيلها على صفحاته، سواء منها ما كان فى اللفظ والمعنى، أو ما كان فى الدلالة فقط، والنص على ذلك صراحة.

---

(١) دلالة الألفاظ، ص ١٤٢.
(٢) انظر: دلالة الألفاظ، ص ١٤٢- ١٤٤.
(٣) انظر السابق، ص ١٤٤- ١٤٧.
(٤) دور الكلمة فى اللغة، ص ١٣٤.
(٥) السابق، ص ١٣٥.

وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس كثيرًا من الألفاظ التى تغيرت دلالاتها بدافع الحاجة [1]، منها: المِدْفع، والقُنْبلة، والدَّبّابة، واللَّغَم، والطَّيَّارة، والطَّرَّاد، والسَّيَّارة، والبريد، والقاطرة، والقِطار، والثَّلاّجة، والسَّخَّان، والمِذْياع، والذَّبْذَبات، والتَّسْجيل، والجرائد، والصُّحف، والمجلاّت، والمحافظة، والأقسام، والمرور.

وإذا تخيرنا بعض الألفاظ المستعملة حديثًا تبين لنا مدى التغير الدلالى الذى حدث فيها موازنة بالقديم:

أ-اللَّغَم:

▲(دلالته القديمة):الطِّيبُ القليل، وقَصَبة اللسان وعروقه، والإرجاف الحادُّ.

▲(دلالته الحديثة): شبه صندوق أو علبة تُحشى بموادَّ متفجِّرة ثم يُوضع مستورًا فى الأرض فإذا وطئه واطئ انفجر (مج). [2]

والسبب لهذه الدلالة الحديثة هو الحاجة إلى التعبير عنها، فلجأت العربية إلى تغيير دلالة اللفظ، وإعطائه الدلالة الحديثة.

ب-الآنسة:

▲(دلالتها القديمة): مؤنث الآنس، والفتاة الطيبة النفس المحبوب قربها وحديثها يُؤنس بها.

▲(دلالتها الحديثة): الفتاة ما لم تتزوج (مج). [3]

وإذا بحثنا عن سبب التغير هنا وجدناه ممثلًا- بصفة أساسية- فى الحاجة [4] إلى استعمال لفظ جديد غير لفظ (البكر)، فلجأت العربية المعاصرة إلى استعمال لفظ (الآنسة).

---

(١) انظر دلالة الألفاظ، ص ١٤٢- ١٤٣، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ص ٣٦٢،٣٦٣.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة (ل غ م).

(٣) انظر: السابق، مادة (أ ن س).

(٤) انظر: دلالة الألفاظ، ص ١٤٥، ١٤٦، علم الدلالة، ص ٢٣٧.

جـ- المِصْعَد:

▲(دلالته القديمة): ما يُصْعد به.

▲(دلالته الحديثة): جهاز كالحجرة يكون فى المبنى العالى يصعد بالناس، ويهبط بقوة الكهربا (مج).[١]

د- الذَّرَّة:

▲(دلالتها القديمة): واحد النَّسل، وصغار النَّمل، وما يُرى من شعاع الشمس الداخل من النَّافذة.

▲(دلالتها الحديثة): أصغر جزء فى عنصر ما يصح أن يدخل فى التفاعلات الكيميائية (مج).[٢]

هـ- المَكْتَب:

▲(دلالته القديمة): موضع الكتابة، الكُتَّاب.

▲(دلالته الحديثة): قطعة من الأثاث يُجلس إليها للكتابة. وـ المكان يُعَدّ لمزاولة عمل معين كمكتب المحامى والمهندس ونحوهما. (مج).[٣]

والملاحظ على هذه الألفاظ المتغيرة دلالاتها أن بعضها يمكن إرجاع سبب تغيرها إلى عوامل فرعية أخرى، وفى مقدمتها التطور الحضارى والعلمى[٤].

ثانيًا: الاستعمال:

إن كل مجتمع لا بد أن يستعمل الألفاظ؛ ولذا لا تقف عند حد معين، فكثرة الاستعمال تعطى اللفظ دلالات أخرى وقد تفقده دلالته الأصلية. ويتبع ذلك التجربة والخبرة والذكاء، وتبعًا لذلك تتكيف الدلالة. وقد يحدث أيضًا ملابسات فى فهم اللفظ. وقد وضح الدكتور إبراهيم أنيس أن عناصر هذا العامل الرئيسى يمكن تلخيصها فيما يأتى:

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة (ص ع د).

(٢) انظر: السابق، مادة (ذ ر ر).

(٣) انظر: السابق، مادة (ك ت ب).

(٤) الألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ٣٦٣- ٣٦٨ (بتصرف).

أ- سوء الفهم:

فقد يُساء فهم الألفاظ، و هذا ما حدث فعلًا عندنا فى معاجمنا العربية فقد اختُلف فى معنى كلمة (ليث) وهى الأسد، وتعنى أيضًا العنكبوت. فهنا لا يمكن أن نجد تفسيرًا معقولًا للفظ إلا بالاتجاه إلى الطفرة الدلالية لحد التعقيد.

ب- بِلى الألفاظ:

ويحدث هذا فى اللفظ حين يصيبه بعضُ التغير فى الصورة ويشابه لفظًا آخر فى صورته فتختلط الدلالتان ككلمة (القماش) كما يذكر الفيروزآبادى (أراذل الناس ، والقماش ما وقع على الأرض من فُتات الأشياء)، ويذكر الجوهرى فى صحاحه (القماش متاع البيت)، ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس عن القس طوبيا العنسى الحلفى فى كتابه الألفاظ الدخيلة أن كلمة (قماش) مأخوذة عن الفارسية (كماش) بمعنى نسيج القطن الخشن .

والكلمة العربية الأصلية قد نُطقت بالقاف أو الكاف لسبب أو لآخر، فأُشبهت الكلمة الفارسية وانصرفت دلالتها إلى الفارسية التى بمعنى النسيج.

جـ- الابتذال:

يصيب بعض الألفاظ الابتذال فى استعمالها، ويُعزى ذلك إلى أسباب سياسية أو اجتماعية أو عاطفية، أو ما يتعلق بالسخرية ككلمة (الحاجب) التى كانت تعنى فى الدولة الأندلسية رئيس الوزراء. أما اليوم فالكلمة تعنى الحارس، وكلمة (ثَوْر) بمعنى شريف وهو السيد، واليوم كلمة (ثَوْر) كلمة سلبية .

ثالثًا: الاستعمال المجازى:

يُستعمل اللفظ إما حقيقة وإما مجازًا، والحقيقة إما لغوية، وهى استعمال اللفظ فيما وُضع له فى اللغة،..، كالأسد للحيوان المفترس.

وإما شرعية، وهى استعمال اللفظ فيما وُضع له فى الشرع كالصلاة للأقوال والأفعال المعهودة فى العبادة المخصوصة.

وإما عرفية خاصة كاستعمال اللفظ فى معنى عرفى خاص كالمصطلحات التى يستعملها المتخصصون فى كل علم، كالرفع والنصب والجر عند النحويين.

وإما عرفية عامة كاستعمال اللفظ فى معنى عرفى عام كاستعمال لفظ دابة على ذوات الأربع بعد أن أُطلق فى أصل وضعه على كل ما يَدِبُّ على الأرض.

والمجاز: انتقال اللفظ من جهة الحقيقة إلى غيرها.

يُفهم مما سبق أن الحقيقة هى الكلمة المستعملة فيما وُضعت له، أى استعمال اللفظ فى معناه الذى وُضع له.

وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة فى غير ما وُضعت له مع قرينة مانعة، أى استعمال اللفظ فى غير المعنى الموضوع له مع قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلى.

فإذا كانت العلاقة بين المعنيين – أى المعنى المستعمل فيه والمعنى الموضوع، أى الأصلى- علاقة مشابهة فهو الاستعارة.

وإذا كانت العلاقة بين المعنى المستعمل فيه والمعنى الأصلى غير المشابهة يُسمَّى حينها المجاز المرسل.

ونقصد بالمجاز ما استقر عليه تعريف القدماء بدءًا بالشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى، وهو : "كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له فى وضع واضعها لملاحظة بين الثانى والأول"[1].

"وهذا التعريف يوضح أن المجاز يقتضى أربعة عناصر: المعنى الأصلى المنقول منه، والمعنى المنقول إليه، والكلمة التى تنتقل من هذا إلى ذلك، ثم العلاقة التى بين المعنى الأول والثانى"[2].

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانى، تصحيح الشيخ رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ص ٣١٩.

(٢) جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دراسة العربية المعاصرة، د. عمر سعيد، رسالة دكتوراه مخطوطة بمكتبة دار العلوم، ١٩٩١م، ص ٢٣٧.

وقد قسم العلماء [1] المجاز إلى قسمين بحسب العلاقة بين المعنى الأصلى والمعنى المجازى أو الجديد.

١-استعارة، إذا كانت العلاقة بين المعنيين هى المشابهة.

٢-مجاز مرسل، إذا كانت العلاقة بين المعنيين لغير المشابهة.

وقد استطاعوا التوصل إلى علاقات مجازية كثيرة، منها: الجزئية، والكلية، والسببية، والمسببية.. إلخ. [2]

وما يهمنا هنا هو الحديث عن دور المجاز فى تحديث الألفاظ العربية، وتغير دلالاتها، وجعلها وافية بالتعبير عن مستحدثات الحضارة.

أثر المجاز فى تغير الدلالة ونقل المعنى:

يجدر الإشارة منذ البداية إلى أن ما ألمحنا إليه بالحقيقة، أو الألفاظ المستعملة فى دلالاتها الحقيقية، سواء أكانت تلك الحقيقية لغوية، أو عرفية، أو شرعية- هى ألفاظ قد يعرض لها التغير الدلالى دون نقلها إلى المجاز، أى دون إسباغ الصفة المجازية عليها، بل تبقى مستعملة حقيقية على الرغم مما أصابها من تغير.

ولتوضيح تلك الفكرة بالذات فإن لها اتجاهين من اتجاهات التطور، فى الأعم الأغلب، وهما الأمثلة التى يحدث فيها تضييق للمعنى أو تخصيص للدلالة، والأمثلة التى يحدث فيها توسيع للمعنى، أو تعميم للدلالة.

أما المجاز – بنوعيه: الاستعارة، والمجاز المرسل- فتكثر نماذجه فى الأمثلة التى تخضع لانتقال الدلالة.

وتلك الأمثلة من الألفاظ التى تغيرت دلالتها بالانتقال المجازى كثيرة جدًّا فى العربية المعاصرة، وقد عرضت المعاجم كثيرًا منها، ولا سيما ما يدخل منها تحت مصطلح (المجاز الميت) أو (المجاز المنسى).

---

(١) انظر: علم البيان، د. بدوى طبانة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٣٩ وما بعدها.

(٢) جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دراسة العربية المعاصرة، ص ٢٣٨ وما بعدها.

ولتوضيح هذه الفكرة نسوق السطور التالية:

تضع الجماعة اللغوية كلمة بعينها؛ لتشير بها إلى دلالة معينة، أو معنى محدد، ثم تضطر الجماعة اللغوية نفسها بعد فترة من الزمن، قد تطول، أو تقصر، إلى التعبير عن دلالة أخرى، أو معنى آخر فتلجأ إلى وضع لفظ جديد،... وهكذا.

لكن الملاحظ من قديم أن الألفاظ والكلمات محدودة، والدلالات غير محدودة؛ لأنها مرهونة بنشاط الإنسان وإبداعاته المتجددة التى لا تنتهى؛ ومن ثم كان اللجوء إلى إعطاء الكلمات الموجودة الدالة على معان مستقرة الفرصة للدلالة على المعانى الجديدة.

ولما كان الوضع اللغوى، والاستعمال اللغوى كذلك، يسيران وفق حِكْمة، ويخضعان فى سيرهما لسيطرة العقل لجأ الإنسان إلى تحميل الألفاظ الموجودة ما يناسبها من الدلالات الجديدة، أى لا بد من علاقة بين المعنى الأصلى والمعنى الجديد أو المجازى، ولا بد كذلك من قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى حتى نقول بالمجاز فى هذه الكلمة أو تلك.

وتستمر الجماعة اللغوية فى استعمال الكلمة بمعنييها، الأصلى، أو الحقيقة اللغوية، والفرعى أو المجازى، وهو الدلالة الجديدة التى اكتسبها بالوضع المجازى إذا صحت التسمية.

ويظل الاستعمالان ساريين حتى تتناسى الجماعة اللغوية أن الدلالة الثانية مجازية، وتُستعمل الكلمة دون لمح الأصل، أو دون الشعور بأن الدلالة الثانية مجاز عن الدلالة الأولى، عند ذلك يتحول هذا المجاز من مجاز حى إلى مجاز ميت، أو منسى[1].

وإذا وصلت الكلمة إلى هذه الدرجة كانت دلالتاها حقيقيتين، أو أساسيتين، ومن الممكن نقلها بعد ذلك للتعبير عن دلالة جديدة مجازية.

ونركز على الدلالة الثانية التى تَغيَّر اللفظ للإشارة إليها بعد أن كان يشير إلى

(1) انظر دلالة الألفاظ، ص ١٤٥، وعلم الدلالة، ص ٢٤١ ، ٢٤٢.

دلالة واحدة بحكم وضعه الأول أو القديم، تلك الدلالة الثانية التى نرصدها فى مجال دراسى للتغير الدلالى، أى إننا فى هذه الحالة نقول: إن اللفظ المعين قد تطور، أو تغير معناه من الإشارة إلى المعنى الأول إلى الإشارة إلى المعنى الثانى.

يحدث النقل الدلالى وفق نوعين من العلاقات، علاقة المشابهة بين المدلولين، ويتم هذا فى الاستعارة، وعلاقات غير المشابهة، ويتم ذلك فى المجاز المرسل، وتفصيل ذلك فيما يلى:

المجاز الاستعارى:

وهو نقل مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين، فيما اصطُلح على تسميته الاستعارة.

وتتنوع أشكال الاستعارات بحسب المنقول منه، والمنقول إليه كما يتضح فيما يأتى [1]:

١-استعارة من جسم الإنسان إلى الجماد، مثل: مِرْفق، ساعد، حَلْق.

٢-استعارة من الحى إلى الجماد، ومنه: عَقْرَب، الأَعْوَر.

٣-استعارة من الجماد إلى الجماد، ومنه: الإِبْرة، العَرَبة.

٤-استعارة من الجماد إلى الحى، ومنه: البرنج، الجيب، الدهليز.

٥-استعارة من المعنوى إلى المحسوس، ومنه: الأَزْمة، الأَوْج.

ومن الأمثلة التى انتقلت دلالتها عن طريق الاستعارة كذلك:

⬅باهت، تغطية.

فقد انتقلت دلالة (باهت) من (بهت الخصمَ إذا أفحمه بالحجة القاطعة) إلى دلالته على (ما تغيَّر لونه من الأشياء بعد زهوه، ونصاعته).

وانتقلت دلالة (تغطية) من (الستر، والمواراة) إلى الدلالة على (الشمول، والإحاطة، والاستيعاب).

---

(١) انظر جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دراسة العربية المعاصرة، ص ٢٤٣ وما بعدها.

المجاز المرسل:

وهو نقل مجال الدلالة لعلاقة مجازية أخرى غير المشابهة بين المدلولين، وعلاقاته كثيرة، أذكر منها"[1]:

١-**علاقة السببية**: وتظهر فى الألفاظ التى تطورت فيها الدلالة عندما أُطلق السبب، وأُريد المسبب عنه.

ومن أمثلة التغير بالمجاز المرسل لعلاقة السببية الفعل (فشل) وما اشتُق منه اشتقاقًا معاصرًا؛ فالدلالة القديمة تعنى (الكسل، والتراخى، والجبن، والضعف)، وهذه المعانى كلها سبب فى الدلالة الحديثة التى تعنى (الخيبة، والرسوب، وعدم النجاح).

ومن أمثلة هذه العلاقة كذلك: (العمالة) التى تدل الآن على (العمل، والعمال) بينما كانت تدل على (أجر العمل) فالعمل هو السبب فى الأجر، والأصل فى استحقاقه.

٢-**علاقة المسبيّة**: وتظهر الألفاظ التى تطورت دلالتها بإطلاق المسبب، وإرادة السبب، مثل: نُوام. كانت تُطلق على السُّبات الكثير الذى يصيب الإنسانَ لسبب معين، والآن أصبحت تُطلق على مرض يصيب الإنسان فينام بسببه كثيرًا فأطلق كثرة النوم على المرض.

٣-**علاقة المحلية**: وتظهر فى الألفاظ التى تتطور دلالتها من الإشارة إلى المحل إلى الدلالة على الحال مثل: الصِّمْلاخ؛ إذ كانت تعنى صماخ الأذن، ويُقصد بها قناة الأذن- وهذا محل – وهى الآن بمعنى إفراز طبيعى للأذن فأصبحت العلاقة كلية .

وممّا له علاقة بانتقال الدلالة بسبب المجاز ما سماه بعض الدارسين [2] (ظاهرة التجسيد) وعكسها (ظاهرة التجريد) والمصطلحان يعنيان بكل بساطة انتقال

---

(١) انظر جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دراسة العربية المعاصرة، ص ٢٦١ وما بعدها.

(٢) انظر دلالة الألفاظ، ص ١٦٠، العربية الفصحى الحديثة، ستتكيفتش، ترجمة د. محمد حسن عبد العزيز، دار النمر، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٦٢.

الدلالة من المعنوى أو المعقول أو المجرد إلى المحسوس أو المجسَّد فى الظاهرة الأولى، وانتقال الدلالة من المحسوس أو المجسَّد إلى المعنوى أو المعقول، أو المجرد فى الظاهرة الثانية، ويحسن أن نفردهما بمزيد من التفصيل.

أولًا: ظاهرة التجسيد:

"المقصود بها أن ينتقل المعنى من الدلالة على الحدث المجرد فى المصدر إلى معنى الاسمية الخالصة. أو بعبارة أخرى أن يتحول المصدر من الدلالة على أمر معنوى إلى الدلالة على أمر محسوس"[(١)].

وقد عرفت اللغة العربية هذه الظاهرة قديمًا، وأفادت منها كثيرًا فى تنمية ثروتها اللفظية "وفى العصر الحديث توسع المحدثون فى استخدامها، والإفادة منها، سواء فى مجال الاصطلاح العلمى، أو فى مجال اللغة العامة، وقد أدى هذا إلى اكتساب كثير من المصادر فى العربية المعاصرة دلالات جديدة بالنسبة إلى المعروف من دلالاتها فى معاجم اللغة القديمة"[(٢)].

ويعرض الدكتور عمر سعيد كثيرًا من المصادر التى تحققت فيها هذه الظاهرة، نذكر منها:[(٣)]

•بلاغ:

وهو فى الأصل: مصدر "بلَغ" بمعنى وصول الشىء إلى غايته ونهايته، ثم استعملته العربية المعاصرة اسمًا للبيان الذى يُذاع فى رسالة ونحوها، فيقال: بلاغ حربى.

•جواز:

وهو مصدر "جاز القولُ إذا قُبِل، وجاز الموضعَ: سار فيه، وقطعه.. إلخ" ، لكنه يُستعمل فى العربية المعاصرة اسمًا، فيقال: جواز السفر، بمعنى الوثيقة التى تمنحها الدولة لأحد رعاياها عند السفر إلى الخارج.

---

(١) جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دراسة العربية المعاصرة، ص ٢٦٩.
(٢) السابق، ص ٢٦٩.
(٣) السابق، ص٢٧٠.

ثانيًا: ظاهرة التجريد:

"يذهب كثير من الدارسين إلى أن ظاهرة "التجريد الدلالى" تصاحب تطور العقل الإنسانى فى نموه، ورقيه، فكلما ارتقى التفكير العقلى جنح إلى استخراج الدلالات المجردة، وتوليدها، والاعتماد عليها فى الاستعمال"[1].

"وفى العربية – وهى إحدى اللغات الحية الراقية- ما يشير إلى أنها قد عرفت هذه الظاهرة واعتمدت عليها، فى إثراء حركة التغير الدلالى لكثير من ألفاظها، فالفعل: فتح مثلًا – بالإضافة إلى معناه الأولى (الحقيقى): فتح البابَ ونحوَه ـ يعنى (غلب وتمكَّن)، فيقال: فتح البلد، (وبدأ) فيقال: فتح الجلسة، و (قضى) فيقال: فتَح بين الخصمين، و(هدى وأرشد) فيقال: فتح عليه.. إلخ".

ويعرض الدكتور عمر سعيد أمثلة لهذه الظاهرة قائلًا "[2]:

وفى هذا الاتجاه سارت العربية المعاصرة بشكل أوسع وأعمق، ورأينا المجمع يسجل فى معاجمه ما يعبر عن هذا الاتجاه، ومن ذلك:

- **المَدْرَسة:**

وهى تدل – أصلًا- على مكان الدرس والتعليم، ثم استعملتها العربية المعاصرة – بالإضافة إلى ذلك- فى الدلالة على مذهب أو رأى معين يشترك فيه جماعة من المفكرين أو الفلاسفة أو الباحثين.

- **ركَّز:**

وهو (فى الأصل) فعل مشتق من الرَّكْز" يقال: ركَّز الشىء. دفنه، أو غرزه، وركَّز اللبنَ، كثَّفه، ثم اكتسب فى العربية المعاصرة دلالة مجردة، فقيل: ركَّز فكره فى كذا، أى حَصَرَه فيه.

---

(١) انظر : دلالة الألفاظ، ص ١٦١ ، ١٦٢، والعربية الفصحى الحديثة، ص ١٥٧ وما بعدها.

(٢) انظر: جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى دراسة العربية المعاصرة، ص ٢٧١، ٢٧٢.

●**توتَّر:**

وهو يُستعمل (فى الفصحى) على النحو التالى: يقال: توتَّر العصبُ والعِرْقُ: اشتدَّ فصار مثل الوتر، أما (فى المعاصرة) فيقال: توترت العلاقات بين الدولتين: ساءت ومالت إلى الشدة بعد اللين والوئام.

●**العُضْو:**

▲(دلالته القديمة): جزء من مجموع الجسد، كاليد، والرِّجْل، والأذن.

▲(دلالته الحديثة): المُشْتَرِك فى حزب أو شركة، أو جماعة، أو نحو ذلك. (مج).

سبب التغير هنا هو المجاز القريب من المجاز الميت، فالذى لا شك فيه أن العلاقة بين المعنى القديم، والمعنى الحديث هى علاقة الجزء بالكل، أى أن اللفظ بعد أن كان يُطلق على جزء من مجموع الجسد، صار يُطلق على الجسد كله، وبجميع وظائفه العقلية والعاطفية وغيرها.

●**الجريدة:**

▲(دلالته القديمة): سعفة طويلة تُقشر من خوصها، والبقية من المال. وخيل لا رجَّالة فيها، ودفتر أرزاق الجيش فى الديوان.

▲(دلالته الحديثة): صحيفة يومية تنشر أخبارًا ومقالات (مج).

وعلى الرغم من وضوح عامل (الحاجة) فى تغير دلالة هذا المثال فالمجاز واضح به كذلك.

وتتضح علاقة المجاز إما فى المشابهة بين (دفتر أرزاق الجند) والصحيفة تُنشر فيها الأخبار، فيكون مجازًا استعاريًّا، وإما فى الآلية على اعتبار السعفة كانت مما يُكتب عليها فى القديم.

●**السُّفْرة:**

▲(دلالته القديمة): طعام يُصنع للمسافر، وما يُحمل فيه هذا الطعام.

▲(دلالته الحديثة): المائدة وما عليها من الطعام (مج).

وعلاقة المجاز هنا الحالية؛ حيث أطلق الحال، وأراد المحل.

●الحَقْل :

▲(دلالته القديمة): الأرض الفضاء الطيبة يُزرع فيها، والزرع ما دام أخضر.

▲(دلالته الحديثة): الأرض الفضاء الطيبة يُزرع فيها، والزرع ما دام أخضر.

وحقل البترول: المكان الذى يُستنبط منه البترول للاستغلال. (مج).

وحقل التجارب : المكان الذى تُجرى فيه .(مج).

نفهم من العلاقة بين الدلالات القديمة والحديثة أن سبب التطور هو المجاز، أو الانتقال المجازى المبنى على المشابهة، أو المجاورة، أو علاقة الحال بالمحل (الزرع أو العمل التجريبى بالأرض أو المجال الفكرى المعين).

وقد يكون عن طريق الانتقال من الدلالة المحسوسة إلى الدلالة المجردة، كما يمكن تقديم سبب آخر للتغير يتمثل فى كثرة الاستعمال بين مختلف طبقات المجتمع، يُفهم ذلك من استعمال الفلاحين، والأطباء، وأصحاب المعامل التجريبية، والعسكريين وغيرهم (حقل ألغام).

رابعًا: تغيّر المدلول:[1]

عرض بعض اللغويين لهذا العامل، وأثره فى تغير الدلالة، ومن أولئك ستيفن أولمان تحت ما سماه العوامل التاريخية[2].

ونستطيع توضيح كلامهم فيما خلاصته أن اللفظ يبقى كما هو دالًّا على المعنى القديم، ويظل مستعملًا فى الإشارة إليه، ولكن هذا المعنى القديم يحدث له تغير فى الشكل، أو فى الوظيفة أو فيهما معًا.

---

(١) انظر دراسات فى الدلالة والمعجم، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب ، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ص٩٢.

(٢) دور الكلمة فى اللغة، ص١٥٧ وما بعدها .

والمثال الذى يذكرونه كثيرًا هو لفظ (سفينة) الذى تطور مدلوله فتمثل فى شكل (الحديد والصاج) بدلًا من (الخشب والقار)، وصارت تسير بالبنزين والسولار بدلًا من قوة الريح أو تيار الماء، وفى الوظيفة، تعددت وظائف السفينة فى العصر الحديث.

ومن الممكن إخضاع هذا العامل، أو إدراجه ضمن التطور الحضارى، بمعناه الواسع، لكن الدارسين يميلون إلى إفراده، واستقلاله، كعامل من عوامل التغير الدلالى، وهو يصدق على كثير من المدلولات الحسية، التى تغير شكلها، أو طبيعتها، أو وظيفتها، وبقى اللفظ القديم مستعملًا للدلالة عليها.

ويظهر أثر هذا العامل فى الألفاظ الدالة على كثير من الآلات الحديثة، ومنها: الطَّائرة، السَّيّارة، القِطار، السَّفينة، البرَّاية، الثَّلاَّجة، المِرْوَحَة... إلخ.

بل إننا نلحظه مؤثِّرًا فى ألفاظ خارج مجال المصنوعات والمخترعات، مثل: محطَّة، تصدير، استيراد، المُضيف والمضيفة... إلخ.

ومما اشترك فى التأثير فى تغير دلالته عاملان فأكثر، وكان تغيير طبيعة المدلول أحدها:

- الإرسال، التخطيط،... إلخ.

ومن أمثلة ذلك:

- **المُضيف:**
  - (دلالته القديمة): الذى يدعو الضيوف ويُقْريهم.
  - (دلالته الحديثة): من يقوم على خدمة ركاب الطائرة والجُلاَّس فى المطعم (محدثة).
- **المُضيفة:**
  - (دلالته القديمة): مؤنث المُضيف بمعناها القديم.
  - (دلالته الحديثة): مؤنث المُضيف بمعناها الحديث.

الذى تغير هنا هو المدلول، شكلًا، ووظيفة.

وتنطبق الفكرة السابقة من حيث التطور فى الشكل وفى الوظيفة على المثال التالى:

●الصَّحيفة:

▲(دلالته القديمة): ما يُكتب فيه من ورق ونحوه، ويُطلق على المكتوب فيها.. وصحيفة الوجه: بشرته.

▲(دلالته الحديثة): إضمامة من الصفحات تصدر يوميًّا أو فى مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة، وما يتصل بذلك. (محدثة).

●البسيسة:

▲(دلالته القديمة): السَّويق أو الدقيق يُلَتُّ بزيتٍ أو سَمْنٍ أو نحوهما، ثم يُؤكل غير مطبوخ.

▲(دلالته الحديثة): حلوى تُصنع من دقيق الذرة (محدثة).

●بَخَّر:

▲(دلالته القديمة): طيَّب، بخَّر الشيءَ: استخرج بخاره، وطيَّبه بالبخور.

▲ (دلالته الحديثة): بخَّر ثيابَ المريضِ والأشجارَ ونحوَها: طهَّرها مما عسى أن يكون قد علِق بها من جراثيم (محدثة).

بخَّر السائلَ: حوَّله إلى بخار بالغليان.

خامسًا : التطور الحضارى:

يتضمن هذا العامل عدة عوامل فرعية منها السياسى، والاجتماعى، والاقتصادى، والثقافى، أو الفكرى. ويكاد يكون – بهذا الاتساع وبهذا الارتباط بالمجتمع وبحركة الحياة – هو الوجه الآخر للعاملين الأساسيين الكبيرين: الحاجة، والاستعمال.

ومن الألفاظ التى تغيرت دلالاتها نتيجة هذا العامل ما يأتى:

● اللَّحْن:

▲(دلالته القديمة): اللغة، ولَحْنُ القول: فحواه.

▲(دلالته الحديثة): (فى الموسيقا): الصوت الموسيقى الموضوع للأغنية.

●التَّيَّار:

▲ (دلالته القديمة): فرس تَيّار: يموج فى عَدْوِه، والتائه المتكبِّر.

▲(دلالته الحديثة): (فى علم الطبيعة): سيّال كهربائى يجرى فى جسم موصِّل للكهرباء، وهو أنواع.

●الجامعة:

▲(دلالته القديمة): الغُلُّ يجمع اليدين إلى العُنُق، وقدور جامعة: عظيمة. وجمعتهم جامعة: أمر جامع، وكلمة جامعة: كثيرة المعانى على إيجازها.

▲(دلالته الحديثة): مجموعة معاهد علمية تُسمَّى كليات، تُدرَّس فيها الآدابُ والفنونُ والعلومُ. (محدثة)[1].

أشكال التغير الدلالى :

١- تخصيص الدلالة ، أو تضييق المعنى :

وهو أن يضيق معنى الكلمة بمرور الزمان ، فتتحول دلالتها من معنى كلى إلى معنى جزئى، أو يقل عدد المعانى التى تدل عليها، أى أن تصبح الكلمة بالتخصيص دالة على بعض ما كانت تدل عليه من قبل .

ويمكن تفسير التخصيص الدلالى بأنه نتيجة إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ؛ فكلما زادت الملامح لشىء ما قلَّ عدد أفراده ، وتكثر ظاهرة التخصيص الدلالى هذه فى مجال المصطلحات العلمية ، حيث تُجرد الكلمة من دلالاتها المتعددة ، لكى تدل على معنى معين فى بيئة علمية خاصة ، ومن ذلك :

---

(١) انظر: الألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، ٣٨٠- ٣٨٢.

obeikandi.com

أ - كلمة أَمْر :

وهى تعنى فى بيئة الحاسبات : بيان بعملية يُطلب إلى الحاسب تنفيذها ، والكلمة عند العرب بمعنى الطلب وهو ضد النهى وهذا معنى عام ، ثم أصابه التخصيص؛ لأنه يدل على طلب محدَّد وموجَّه إلى الحاسب الآلى خاصة .

ب- كلمة المَأْتَم :

كان يُطلق على مكان الاجتماع فى الخير أو فى الشر ، ويُطلق الآن على الاجتماع فى مصيبة الموت خاصة .

ج- كلمة الحَريم :

كانت تُطلق على كل مُحَرَّم لا يُمَسُّ ، وهى الآن تُطلق على النساء خاصة.

د- كلمة الرَّكْعَة :

كانت تُطلق على كل قَوْمَة من القيام، ثم استُعملت فى الشرع للدلالة على هيئة مخصوصة فى الصلاة .

٢- تعميم الدلالة، أو توسيع المعنى :

هو عكس اتجاه التخصيص ، فهو يعنى تحويل الدلالة من المعنى الجزئى إلى المعنى الكلى ، وبه تصبح الكلمة دالةً على عدد من المعانى أكثر مما كانت تدل عليه من قبل ، أو دالةً على معنى أعم من معناها الأول ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن التعميم أقل شيوعًا فى اللغات من تخصيصها ، وأنه أقل أثرًا فى تطور الدلالات وتغيرها .

ويمكن تفسير تعميم الدلالة بأنه عبارة عن إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ، ومن أمثلة هذا الشكل من التغير الدلالى ما يأتى :

أ- كلمة الوَرْطَة :

بمعنى الهلاك، وأصل معناها الوَحْلُ تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص ، وقيل أصلها أرض مطمئنة ، لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص ، ثم استُخدمت فى كل شدة .

ب- **كلمة الرَّاوية :**

كان العرب يطلقونها على البعير الذى يُستقى عليه، ثم أُطلقت على كل دابة تُستخدم فى الاستسقاء ، ثم حدث لها توسيع آخر حين أُطلقت على راوى الحديث وراوى اللغة.

جـ- **كلمة النّاضِح :**

أصل دلالتها على البعير الذى يُحمل عليه الماء لسقى الزرع؛ لأنه ينضح العطش أى يبلُّه بالماء، ثم توسعت دلالته فاستُخدم للدلالة على كل بعير حمل الماء أو لم يحمله. وفى الحديث : " أطعمه ناضحَك " أى بعيرك .

د- **كلمة البَأْس :**

قال ابن سيده : البَأْس الحرب، ثم كثر حتى قيل: لا بأس عليك ، أى لا خوف، وأصله الشدة فى الحرب ، ثم استُعمل للدلالة على كل شدة.

هـ- **كلمة الأَيِّم :**

فى الأصل هى المرأة التى لا زوج لها، ثم تُوُسِّع فى دلالته فعُبِّر به عن الرجل الذى لا زوجة له، إضافة إلى معناه الأصلى .

٣- **انتقال الدلالة :**

يعتمد هذا الشكل من التغير الدلالى على وجود علاقة مجازية ، قد تكون علاقة مشابهة ، عن طريق الاستعارة أى استخدام الكلمة فى غير معناها الأصلى لوجود هذه العلاقة ، وقد تكون علاقة غير المشابهة، وتأتى عن طريق المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة ، ويُسمى هذا المعنى غير الأصلى للكلمة بالمعنى المجازى أى المُحَوَّل عن طريق المجاز ، ومن أمثلة انتقال الدلالة لعلاقة المشابهة ما يأتى :

أ- **كلمة البَيْت :**

للدلالة على المسكن، ثم أُطلق على بيت الشِّعْر، سُمِّى الأخير على الاستعارة بضم الأجزاء (أجزاء التفعيل) بعضها إلى بعض على نوع خاص كما تضم أجزاء البيت فى عمارته على نوع خاص.

ب- **كلمة الهَمَج :**

هو ذُباب صغير مثل البعوض يقع على وجوه الدواب ، ويُطلق اللفظ على الرِّعاع من الناس على التشبيه .

جـ- **كلمة الشَّوْكة :**

فى الأصل واحدة الشَّوْك ، ثم أُطلقت على أداة الطعام المعروفة .

د- **كلمة التلوين :**

فى الأصل تقديم الألوان من الطعام للتفكُّه والتلذُّذ ، ثم أُطلق على تغيير أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر .

هـ - **كلمة التوشيح:**

كانت تُطلق على التوشيح بالثوب ، بمعنى وضعه على العاتق مخالفًا بين طرفيه ، ثم أُطلق على لون من الشِّعْر لدى الأندلسيين؛ وذلك لعلاقة المشابهة بين الدلالتين، حيث إن الموشَّح يتكون من التخالف المنتظم لعناصر ذات قوافٍ ، متفقة ومختلفة على التوالى .

ومن أمثلة انتقال الدلالة لعلاقة غير المشابهة ما يأتى :

أ- **علاقة السببية :**

١- **كلمة البيع :**

أصلها مبادلة مال بمال ، ثم أُطلقت على عقد البيع مجازًا؛ لأنه سبب التمليك والتملك .

٢- **كلمة الثُّبور:**

أصله الحَبْس ، ثم أُطلقت على الهلاك مجازًا؛ لأنه يسبب الهلاك .

٣ – **كلمة الرُّجْز :**

بمعنى العذاب، وأُطلقت فى القرآن الكريم على الصنم فى قوله تعالى: ﴿**وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ**﴾ (المدثر: ٥)، فسُمِّى باسم سببه .

obeikandi.com

٤- **كلمة اللباس :**

فى قولــه تعــالى : ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ﴾(الأعــراف: ٢٦)؛ سُمى المطر لباسًا ، إذ هو سبب ما ينبت من كِتـان وقطـن ومـا ينبـت مـن الـصوف والشعر على ظهور البهائم، وهذا المعنى يُسمى التدريج؛ لأن الله تعالى سمَّى الشىء باسم ما اندرج عنه .

ب- علاقة المجاورة :

١- **كلمة البَرْذَعة :**

هى فى الأصل تُطلق على كساء ، يُوضع عـلى ظهـر البعـير تحـت الرحـل ، ثـم أُطلقت على ما يُوضع على ظهر الحمار بمنزلة السرج للفرس .

٢- **كلمة الثَّغْر :**

المَبْسِم، ثم أُطلقت على الثنايا للمجاورة .

جـ- تسمية الشىء باسم صانعه أو باسم بانيه ، أو صاحبه :

ومن ذلك : يثرب؛ فقد سُميت باسم رجل من العمالقة وهو الذى بناها ، ومنه تـسمية الـشىء باسـم مخترعـه أو مكانـه الأصـلى مثـل سـندوتش ، واشـترى قطعة كشمير ، وبدر اسم البئر المشهورة ، سُميت باسم صاحبها وكان رجـلًا مـن جهينة يُسمى بدرًا .

د- تسمية الشىء باعتبار ما كان :

مثل تسميتهم البالغ يتيمًا لأنه كان يتيمًا ، وكلمة الفتى وهى فى الأصل تُطلق على الشاب الحدث ، ثم أُطلقت على العبد ، وإن كان شيخًا تسميةً باسم ما كـان عليـه ، وكذلك كلمة الجارية، والأصل فيها للشابة لخفتها، ثم أُطلقت على كل أَمَة جاريـة ، وإن كانت عجوزًا لا تقدر على السعى تسميةً بما كانت عليه .

هـ- تسمية الحالّ باسم المَحَلّ :

كما يقولون لأهل المجلس : المجلس ، فيقولون: اتفق المجلس على كـذا ، وكثـر هذا فى أيامنا يقال : وافق المجمع ، وقبلت الكلية ... إلخ .

و- تسمية المحل باسم الحال : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٧)، أى فى رحمته ودار كرامته؛ حيث سُميت الجنة هنا رحمة الله ، ومنه تسمية الجلدة التى يوضع فيها الطعام سُفرة، والسفرة طعام المسافر .

ز- علاقة الجزئية :

أى إطلاق الجزء وإرادة الكل ، مثل إطلاق العين على الجاسوس ، والرقبة على العبد المملوك .

حـ- علاقة الكلية :

أى إطلاق اسم الكل على جزء منه ، مثل قوله تعالى :﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ (البقرة:١٩)، وكما يقال: قُطع السارق، والمراد يده.

ط- علاقة ملابسة الحال :

مثل كلمة الصفقة ، وهى ضرب البيعين أحدهما على يد الآخر عند المبايعة إشعارًا بنفاذ البيع بينهما ، وكانت العرب تفعل ذلك، ثم استُعملت الصفقة ، للدلالة على العقد .

ى - علاقة الآلية :

وهو أن يُسمى الشىء باسم آلته ، مثل تسمية اللغة لسانًا فى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ (إبراهيم: ٤).

ك- علاقة الزمانية :

مثل كلمة النجم، وهو فى الأصل للجرم السماوى المعروف ، الذى جمعه نجوم، انتقلت دلالته حيث أطلق العرب على الوقت الذى يحل فيه أداء الدين نجمًا؛ لأن الأداء لا يُعرف إلا بالنجم ، ثم توسعوا حتى سموا الوظيفة نجمًا لوقوعها فى الأصل فى الوقت الذى يطلع فيه النجم ، قال ابن فارس : النجم

كل وظيفة، وكل وظيفة نجم ، وهذان كما ترى انتقالان لدلالة اللفظ ، لعلاقة واحدة هى الزمانية .

ل- ومن المجاز تسمية الشىء بالمصدر :

ومن ذلك تسمية الجيش زحفًا ، والمال الراعى الإبل سرحًا ، وتسمية المسروق سرقة .

م- تسمية الشىء باسم ما يؤول إليه :

مثل تسمية العنب خمرًا ، فى قوله تعالى على لسان الذى نجا فى قصة يوسف عليه السلام : ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ (يوسف: ٣٦).

٤- رقى الدلالة :

ويُطلق عليها أيضًا مصطلح التغير المتسامى ، وهو اتجاه فى التغير الدلالى ، ويُطلق على ما يصيب الكلمات التى كانت تدل فى الأصل على معان وضيعة أو ضعيفة نسبيًّا أو عادية ، إلى كلمات تدل فى نظر المجتمع ، على معان أرفع وأشرف ، أو أقوى، وهو تحول يرتبط بالقيم الاجتماعية، وقد يرتبط بتغير المسمى نفسه إلى حالة أرقى مما كان عليه ، ومن ذلك :

أ- كلمة بَيْت :

فقد كانت تُطلق لدى العربى على المسكن المصنوع من الجريد والخوص ، وأصبحت الآن تُطلق على نوع آخر من البيوت الضخمة المتعددة المساكن والطوابق.

ب- كلمتا ملاك ورسول :

أتى عليهما عهد ، كانتا تُطلقان فى اللغة على أى شخص يُرسل فى مهمة مهما كان شأنها ثم أصبح لهما مكانة سامية .

جـ- كلمة السُّفْرة :

كانت تعنى قديمًا ، طعام المسافر، وهى الآن لها شأن عند الحديث عن الأثاث ،

وكذلك كلمة (العفش)، التى كانت تُطلق على سقط المتاع ، أصبحت تُطلق الآن على جهاز العروسين .

هذا وقد يصيب الكلمة رقى دلالى عندما تنتقل من لغة إلى أخرى، ومن ذلك كلمة (باشا) الفارسية ، وهى تعنى قدم السلطان فى أصلها الفارسى ، وقد حظيت بشأن كبير فى المملكة المصرية من قبل .

٥-انحطاط الدلالة :

وهذا المظهر من التغير الدلالى ، يسير فى اتجاه معاكس لاتجاه رقى الدلالة ، وهو يعبر عن ضعف دلالة اللفظ فى الأذهان ، وفقدان مكانتها فى المجتمع عندما تُستخدم فى غير موضعها ، فهناك ألفاظ تبدأ حياتها بأن تعبر فى قوة عن أمر شنيع أو فظيع حتى إذا طرقت الآذان فزع المرء لسماعها وأحس أنها أقوى ما يعبر عن تلك الحال ، ثم تمر الأيام، وتشيع تلك الألفاظ ويكثر تداولها بين الناس ، وهم عادة مشغوفون فى كلامهم بالإسراف والمغالاة ، فيستعملونها فى مجال أضعف من مجالها الأول ، وهنا تنهار القوة التى فى الدلالة الأولى، ويصبح اللفظ بعد شيوعه مألوفًا لا تخيف دلالته، ولا تفزع لها النفوس. ومن ذلك ما نسمعه فى بعض لهجات الخطاب حين تُستعمل كلمة (القتل)، و(الذبح) فى الشجار حتى مع ضعف شأنه ونتائجه .

وكذلك يصدق هذا النوع من التغير الدلالى على الكلمات التى كانت دلالتها تشير فى نظر الجماعة اللغوية إلى دلالة نبيلة أو سامية ورفيعة ثم أصابتها الضعة ، أو أصبح لها ارتباطات يزدريها المجتمع .

وقد لوحظ أن أكثر الكلمات التى تميل إلى انحطاط الدلالة ، هى الألفاظ المتعلقة بالتعبير عن النواحى الجنسية ونحوها ، مما يثير مشاعر الخجل ، وكذلك الألفاظ المعبرة عن الطبقية والألقاب التى تشير إلى مكانة اجتماعية معينة.

ومن الألفاظ المعبرة عن النواحى الطبقية كلمة (الحاجب) التى كانت تُستخدم

فى الأندلس الإسلامية لتدل على منصب يعادل رئيس الوزراء ثم أصبحت تدل على البواب ، وكذلك كلمة (وزير) العربية عندما انتقلت إلى الإسبانية لم تعد تدل على أكثر من شرطى .

وكلمة (الأفندى) التركية التى كانت تُطلق على الخديوى فى منتصف القرن التاسع عشر ، أصبحت فى مجتمعنا الآن تُطلق على صغار الموظفين .[1]

المعجم التاريخى والتغير الدلالى:

لا شك أن التغير الدلالى يُعد الملمح الرئيس للمعجم التاريخى؛ فجوهر المعجم التاريخى يقوم على تتبع سيرة كل كلمة من كلمات اللغة العربية، وذلك من خلال النصوص، وفق أقدم نص وصل إلينا، ورصد التغير الدلالى فى معانيها فى مختلف العصور، حتى الوقت الحاضر، ويُعد هذا الرصد من أبرز أهداف المعجم التاريخى، وإذا استعرضنا آراء العلماء حول التغير الدلالى فى المعجم التاريخى وبيان أهميته، فإننا نلاحظ مجىء هذه الآراء تارة بصورة مباشرة معبرة عن التغير الدلالى، وتارة بصورة غير مباشرة، وأخرى بألفاظ مشابهة، مثل التطور...إلخ؛ وهى كالتالى:

١- **الدكتور كمال بشر:**

يقول الدكتور كمال بشر " وأظنه ليس بدعًا أو خيالًا أن نأخذ فى الحسبان عاملًا من أهم العوامل التى تفى بحق العربية علينا وبحق أجيال أهليها؛ ذلك العامل فى رأينا – وفى رأى الثقات العارفين – هو محاولة صُنع معجم تاريخى لها **يحكى مسيرتها عبر الزمان والمكان**، أسوةً بما صُنع لكثير من اللغات التى حظيت بهذا الصنيع، وفاءً بحقها، واعتزازًا بدورها فى بناء قوميات أصحابها.[2]

---

(١) تمت الاستفادة من: لحن العامة والتطور اللغوى، والتطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه، وتطور دلالة الكلمة فى المعجم العربى فى ضوء استخدام اللغة العربية المعاصرة فى مصر، ودلالة الألفاظ، والألفاظ المحدثة فى المعاجم العربية المعاصرة، واللغة والمجتمع.

(٢) حول المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع، ١٠٩/ ٣١.

٢- الدكتور محمد بنشريفة:

يرى الدكتور محمد بنشريفة أن الحدود التى وضعها القدماء لتدوين اللغة والقيود التى فرضوها فى موضوع الاستشهاد اللغوى وحصره فى زمن معين كانت سببًا فى عدم ظهور معاجم لغوية **تتابع التطور اللغوى، وتمثل الاستعمال فى كل عصر، وتستوعب ما يَجِدّ فى كل زمن من إبداع**، فلو عملت مثل هذه المعاجم لسهل اليوم وضع معجم تاريخى يؤرخ للغة العربية فى مختلف العصور ولكنها لم تعمل.[(١)]

٣- الدكتور عبدالكريم خليفة:

يؤكد الدكتور عبدالكريم خليفة على أن **المجاز فى اللغة العربية، يُعد من العوامل الرئيسية المؤثرة فى التغير الدلالى**، لا سيما من خلال تتبع المعانى المختلفة للكلمة وفق النصوص وحسب السياق، فالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية، تكوّن المقاصد الأساسية فى علم البيان العربى، أو لا ترى أنك إذا قلت: " هو كثير رماد القِدْر"، أو قلت: " طويل النجاد"، أو قلت فى المرأة: "نؤوم الضحى"، فإنك فى جميع ذلك لا تفيد غرضك الذى تعنى من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذى يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيًا هو غرضك، كمعرفتك من " كثير رماد القدر"، أنه مضياف، ومن " طويل النجاد" أنه طويل القامة، ومن "نؤوم الضحى" فى المرأة، أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، وكذا إذا قال: "رأيت أسدًا"، ودلك الحال على أنه لم يُرِدِ السُّبُع، علمت أنه أراد التشبيه، إلا أنه بالغ فجعل الذى رآه بحيث لا يتميز عن الأسد فى شجاعته[(٢)].

٤- الأستاذ أحمد شفيق الخطيب:

يرى الأستاذ أحمد شفيق الخطيب أن "أى معجم يكون همه، ربما الأول، تفهم

---

(١) أساس البلاغة شبه معجم تاريخى فى عصره، مجلة المجمع، ١٠٩/ ٦٣.

(٢) المعنى فى المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع، ١٠٩/ ١٠٢.

المعنى، والمعاجم تختلف فى معالجة هذه الناحية- زمانيًّا من حيث البدء بالمعنى الحديث ثم الأسبق فالأسبق- أو براغماتيًّا عمليًّا من حيث البدء بالمعنى الأكثر شيوعًا، مؤرخًا بقدمه ومجالات استعماله، وهذا يقتضى دراسات إحصائية...وقد يكون توزيع المعانى منطقيًّا بذكر المعنى الحقيقى المرتبط (بجذر أصل الكلمة أو أصلًا) قبل المجازى، والحسى قبل المعنوى، والمألوف قبل الغريب، والأصلى قبل الفرعى"[1].

ويوضح الأستاذ الخطيب أن هناك مبررًا فى المعجم التاريخى **للبدء بالمعنى الأقدم تسلسلًا إلى المعنى الأحدث، وبالنسبة لطبيعة اللغة العربية المحدودة فإن التغير الدلالى سيكون غالبًا فى الوضع الحاصل، ولا سيما أن الألفاظ الجديدة هى لمفاهيم ومسميات جديدة.**[2]

٥- الدكتور صادق عبدالله أبو سليمان:

أكد الدكتور صادق- فى معرض حديثه عن حاجة العربية إلى معجم تاريخى- حاجة علماء العربية إلى التعرف على تاريخ استعمال معانى مفردات اللغة العربية، فكما هو معروف فى الدرس اللغوى **فإن لكل كلمة أو تركيب قصة حياة؛ فتارة تراه ذائعًا، وتارة يفتر استعماله أو ينقرض، وتارة تراه يتعرض لبعض تغيير صوتى أو بنيوى أو دلالى، أو تراه يغدو مصطلحًا علميًّا، أو يغدو ذا دلالات مجازية أو بيئية، وهلم جرًّا**[3].

٦- الدكتور على القاسمى:

يؤكد الدكتور على القاسمى أن المعجم التاريخى نوع من المعاجم **يرمى إلى تزويد**

---

(١)المعنى فى المعجم التاريخى للغة العربية، مجلة المجمع، ١٠٩/ ١٠٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) المعجم التاريخى للعربية، مجلة المجمع، ١٠٩/ ١٢٣.

القارئ بتاريخ الألفاظ ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم ظهور مسجل لها حتى يومنا هذا.[1]

٧- الدكتور عباس الصورى:

يرى الدكتور عباس الصورى أن المعجم اللغوى- أساسًا- يقوم على المادة اللغوية، فى مبناها ومعناها، ولحصر هذه المادة يعمد المعجمى إلى مجموعة من الإجراءات الصوتية والصرفية التى بواسطتها يهتدى إلى اللفظ المراد معالجته، **وهنا يأتى دور الدلالة لإجلاء المعانى التى تشكل المبنى التى أُفرغت فيها المادة اللغوية**[2].

ويقترب سيادته من المعجم التاريخى فيقرر أن الأمر إذا كان يتعلق بوضع معجم تاريخى للغة، فإن المعجمية تدخل فى منهجيتها عنصر الزمن الذى **بواسطته يُفسر ما يطرأ على المادة اللغوية من ألوان التغيير، فالتحليل ينصب إذًا على المادة اللغوية** من خلال محورين:

- محور التزامن، ويتخذ له منهجًا وصفيًّا استقصائيًّا ما أمكن.
- محور تحقيقى، ويعتمد المنهج التاريخى الذى يغوص فى التجربة الإنسانية التى تحملها اللغة المعنية عبر العصور والأزمان، وما لقيته هذه المادة اللغوية من تحولات فى المبنى والمعنى.[3]

ويؤكد الدكتور الصورى فكرته بشكل أوضح قائلًا:" **المفروض فى المعجم التاريخى إذًا أن يتقصى معانى اللفظ فى مختلف العصور والبيئات، ولدى كل الطبقات الاجتماعية، سواء كان اللفظ عربيًّا أصيلًا أو كان معربًا أو دخيلًا أو مولدًا،**

---

(١) انظر: الشواهد فى المعجم التاريخى، مجلة المجمع ، ١١٠/ ٦٥، ٦٦.
(٢) انظر: اللغة المصطلحية فى المعجم العربى التاريخى، مجلة المجمع ١١٠/ ١١٥.
(٣) انظر: السابق نفسه.

تُذكر معانيه كلها، دون إهمال معنى منها مع مقارنة هذه المعانى فى لغتها الأصلية فى المعرب والدخيل بمعانيها فى العربية". (١)

٨- الدكتور محمد حسن عبدالعزيز:

يرى الدكتور محمد حسن عبدالعزيز أن معانى الكلمات لا تبقى على حال واحدة، بل تتغير باستمرار بمرور الزمن وتعدد الأماكن وفى مختلف المجالات الموضوعية...إلخ. **وأن مدلول الكلمة قد يكون عامًّا فيُخصص، أو خاصًّا فيُعمم، وهذا التحول دائم، بمعنى أن الكلمة العامة بعد تخصيصها قد تُعمم مرة أخرى، والكلمة الخاصة بعد تعميمها قد تُخصص... وهكذا.**

وقد لا يتغير مدلول الكلمة تعميمًا أو تخصيصًا، بل قد يُضاف إلى معناه المركزى معانٍ هامشية ناتجة عن استعماله فى سياقات اجتماعية خاصة، أو فى نمط لغوى محدد كلغة الشعر والرواية.

وقد يتغير مدلول الكلمة لتغير فى مواقف المجتمع من سلم القيم، فالكلمة التى كانت تدل على معنى هابط قد يتغير مدلولها فيسمو، والكلمة التى كانت تدل على معنى سام قد يتغير مدلولها فيهبط... وهكذا دواليك.

إن الكلمات – كغيرها من العادات والتقاليد – تسمو وتهبط؛ ولهذا تُؤْثِر المعاجم الحديثة أن تشير إلى تلك المعانى، فيقال مثال: سوقى، مهذَّب، متكلَّف، متأنِّق، مغالًى فيه، وعلى اللجان العلمية أن تقضى بذكر هذه الأحكام أو بإهمالها، وبتحديد معناها بدقة إن رُئى استخدامها.

وهنا – أيضًا – تجىء عناية المعجم بالانتقال الدلالى من الحقيقة إلى المجاز، والانتقال من معنى إلى ما يضاده. وكذلك ينبغى الإشارة إلى المشترك اللفظى، والمترادف، وبيان الفروق الدلالية المميِّزة لكل لفظ... وغير ذلك مما تحدده اللجان العلمية. (٢)

---

(١) انظر: اللغة المصطلحية فى المعجم العربى التاريخى، مجلة المجمع ١١٠/ ١١٥.

(٢) المعجم التاريخى للغة العربية: وثائق ونماذج، ص١٨٦.

ونخلص مما سبق إلى النتائج الآتية:

١- التغير الدلالى سمة أساسية من سمات المعجم التاريخى.

٢- الكشف عن أوجه التغير الدلالى ومظاهره يكشف لنا ثراء العربية وغناها.

٣- الكشف عن أوجه التغير الدلالى ومظاهره هدف أساسى من أهداف المعجم التاريخى.

٤- رصد التغير الدلالى فى المعجم التاريخى يفتح الآفاق أمام الدراسات التاريخية والتأصيلية.

***

obeikandl.com